

الجزء الثالث عشر

تأليف

الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين
رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر سابقا

الدكتور
حصة عبد العزيز السويدى
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
جامعة قطر

الدكتور
أمانى موسى شاهين
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بفرع جامعة الأزهر للبنات

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ {سورة يوسف ، ١١١}

المعجزات الحسية

المعجزة أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعى النبوة تأييدًا لرسالته وأنها من عند الله .

ولما كانت المعجزة الحسية دليل الرسالة لمن يراها ويحسها ، وكانت الرسل قبل محمد ﷺ يرسل كل رسول إلى قومه خاصة كانت المعجزات الحسية مفيدة كل الفائدة ، محققة للغرض المطلوب منها ، وكانت معجزات الرسل قبله كلها حسية .

ولما كانت رسالة محمد ﷺ عامة للناس كافة ، وللأزمنة المتعاقبة إلى يوم القيامة كانت معجزته صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز لكل البشر فى كل زمان ومكان ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (١) .

ولما كانت عقول بعض البشر لا ترقى إلى تذوق أوجه إعجاز القرآن كانت الحاجة ماسة لبعض المعجزات الحسية التى تساعد غير المسلم على الإسلام ، وتساعد المسلم على توثيق الإسلام فى عقيدته ، وزيادة إيمانه .

وقد كثرت المعجزات الحسية على يد محمد ﷺ ، نقتطف منها باقة عطرة فى أربعة محاور :

محور علم بعض الغيب والإخبار به ، ومحور استجابة الدعوة وتحقيق مطلوبه ، ومحور إتيان الجماد بما يأتى به العقلاء ، ومحور زيادة الماء والطعام على يديه زيادة خارقة لجميع العادات .

---

(١) سورة الإسراء – الآية : ٨٨ .

المحور الأول : عالم بعض الغيب والإعلام به

وقد عبر عنه القرآن بقوله : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ (١) . ويتمثل فى القصص الآتية :

١- قصة حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة ، ويقصها الحديث :

٤٢٧٤ - عن عليٍّ ﷺ قال : بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ - مكان بين مكة والمدينة ينزل فيه المسافرون - فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا ». قَالَ : فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا لَهَا : أَخْرِجِى الْكِتَابَ . قَالَتْ : مَا مَعِى كِتَابٌ . فَقُلْنَا : لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ ، قَالَ : فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا حَاطِبُ مَا هَذَا » ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ عَلَىَّ ، إِنِّى كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً فِى قُرَيْشٍ - يَقُولُ : كُنْتُ حَلِيفاً وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا - وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ ، يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِى ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُونَ قَرَابَتِى ، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَاداً عَنْ دِينِى ، وَلاَ رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ » . فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنِى أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ .

---

(١) سورة الجن - الآيات : ٢٦- ٢٨ .

فقال : « إنَّهُ قدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْراً وقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ (١) .

وفى رواية : « تجدون بها امرأة أعطاها حاطب كتابًا » . وفى رواية « فأخرجته من حجزتها » . « وكنت امرأ ملصقًا فى قريش » . أى حليفًا .

وكان فى الخطاب : « أما بعد يا معشر قريش ، فإن رسول الله جاءكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز وعده . فانظروا لأنفسكم . والسلام » .

وفيه : « أن رسول الله ﷺ أذن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن يكون لى عندكم يد » .

لقد كتب حاطب هذا الخطاب متخفيًا متسترًا كتومًا له ، فإنه يعلم عاقبة مثل هذا الفعل ، فمن أين لمحمد ﷺ علم هذا ؟ وعلم أن حاملته امرأة ؟ وأنها ستكون بمكان كذا ساعة وصول الفرسان ؟ لا شك أنه علم ذلك بالوحى ، وإخبار الصحابة بذلك الغيبى وتحققه معجزة حسية ، وأى معجزة ؟.

٢- ويتمثل فى نعيه صلى الله عليه وسلم جعفرًا وزيدًا وابن رواحة

---

(١) سورة الممتحنة – الآية : ١ .

قبل أن يجيء خبرهم .

٣٦٣٠ - فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى جَعْفَراً وَزَيْداً قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ خَبَرُهُمْ ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ .

٤٢٦٢ - وعنه ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْداً وَجَعْفَراً وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقَالَ : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » .

٣- ويتمثل فى نعيه صلى الله عليه وسلم النجاشى فى اليوم الذى مات فيه .

١٢٤٥ - فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ ، خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى ، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعاً .

١٣٣٣ - وعَنْه ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِى الْيَوْمِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ.

٤- ويتمثل فى إخباره صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة بأنها ستكون أول أهل بيته لحاقا به :

٣٦٢٣ - فَعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ : أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي ، كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَرْحَباً بِابْنَتِى » . ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً ، فَبَكَتْ فَقُلْتُ لَهَا : لِمَ تَبْكِينَ ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً ، فَضَحِكَتْ ، فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحاً أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ .

٣٦٢٤ - فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلْتُهَا ، فَقَالَتْ أَسَرَّ إِلَيَّ : « إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِى الْقُرْآنَ

كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِى الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِى ، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِى لَحَاقاً بِى » . فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ : « أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِى سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ - أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ » . فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ .

٣٦٢٥ - وعَنْها - رضى الله عنها - قَالَتْ : دَعَا النَّبِىُّ ﷺ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِى شَكْوَاهُ الَّذِى قُبِضَ فِيهِ ، فَسَارَّهَا بِشَىْءٍ فَبَكَتْ ، ثُمَّ دَعَاهَا ، فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ ، قَالَتْ فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ . -

٣٦٢٦ - فَقَالَتْ : سَارَّنِى النَّبِىُّ ﷺ فَأَخْبَرَنِى أَنَّهُ يُقْبَضُ فِى وَجَعِهِ الَّذِى تُوُفِّىَ فِيهِ فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ سَارَّنِى فَأَخْبَرَنِى أَنِّى أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ .

٥- ويتمثل فى إخباره صلى الله عليه وسلم أن أمية بن خلف سيقتل فى معارك المسلمين لحديث :

٣٦٣٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِراً - قَالَ - فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَبِى صَفْوَانَ - وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّأْمِ فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ - فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ : انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ ، وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ - فَطُفْتُ - فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِى يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ؟ فَقَالَ سَعْدٌ : أَنَا سَعْدٌ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِناً ، وَقَدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ . فَتَلاَحَيَا بَيْنَهُمَا . فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ : لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِى الْحَكَمِ ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِى . ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ : وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِى أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لأَقْطَعَنَّ مَتْجَرَكَ بِالشَّأْمِ . قَالَ : فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يَقُولُ لِسَعْدٍ : لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ . وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ ، فَغَضِبَ سَعْدٌ ، فَقَالَ : دَعْنَا عَنْكَ ، فَإِنِّى سَمِعْتُ مُحَمَّداً ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ . قَالَ : إِيَّاىَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ . فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ : أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِى أَخِى

الْيَثْرِبِىُّ ؟ قَالَتْ : وَمَا قَالَ؟ قَالَ : زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّداً يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِى . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ . قَالَ : فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ ، وَجَاءَ الصَّرِيخُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِىُّ ؟ قَالَ : فَأَرَادَ أَنْ لاَ يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِى ، فَسِرْ يَوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ ، فَسَارَ مَعَهُمْ فَقَتَلَهُ اللَّهُ .

٢٣٠١ – وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ : كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَاباً بِأَنْ يَحْفَظَنِى فِى صَاغِيَتِى بِمَكَّةَ، وَأَحْفَظَهُ فِى صَاغِيَتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ : لاَ أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ ، كَاتِبْنِى بِاسْمِكَ الَّذِى كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ . فَكَاتَبْتُهُ عَبْدُ عَمْرٍو ، فَلَمَّا كَانَ فِى يَوْمِ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لأُحْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ ، فَأَبْصَرَهُ بِلاَلٌ ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ . فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِى آثَارِنَا ، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَّفْتُ لَهُمُ ابْنَهُ ، لأَشْغَلَهُمْ ، فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا ، وَكَانَ رَجُلاً ثَقِيلاً ، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ : ابْرُكْ . فَبَرَكَ ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِى لأَمْنَعَهُ ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِى ، حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِى بِسَيْفِهِ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الأَثَرَ فِى ظَهْرِ قَدَمِهِ .

٦– ويتمثل فى إخباره صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذى قاتل فى غزوة خيبر قتالا لم يقاتله أحد ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه أنه من أهل النار . يوضح ذلك الحديث :

٤٢٠٢ – عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا ، يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقِيلَ : مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ

كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ . قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ - قَالَ - فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحاً شَدِيداً ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ : « وَمَا ذَاكَ » ؟ قَالَ : الرَّجُلُ الَّذِى ذَكَرْتَ آنِفاً أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ . فَخَرَجْتُ فِى طَلَبِهِ ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحاً شَدِيداً ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِى الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهْوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

محور إجابة الدعاء وحصول المطلوب :

١- ويتمثل فى طلب الاستسقاء ، وطلب توقف المطر أو تحوله عن المدينة ففى الحديث :

١٠١٣ - عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وُجَاهَ الْمِنْبَرِ - أى مواجهًا المنبر - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائماً فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِى ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يغثنا . قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ، فَقَالَ: « اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا » . قَالَ أَنَسٌ : وَلاَ وَاللَّهِ مَا نَرَى فِى السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ - سحاب متجمع - وَلاَ قَزَعَةً - ولا سحاب متقطع - وَلاَ شَيْئاً ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ - يحجبنا عن رؤيته ، أو يحجب السحاب عنا إن كان دونه سحاب - قَالَ : فَطَلَعَتْ مِنْ

وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ – مستديرة صغيرة – **فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ . قَالَ** : وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا – أي جمعة ، وفي رواية : « فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى » – **ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ** – ظاهره أنه رجل غير الأول، وقيل: عينه، لهذا شك أنس – **وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِماً ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا ، قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ، وَلاَ عَلَيْنَا** – بعيدًا عن الدور والأبنية – **اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ** – جمع أكمة ، وهي التراب المجتمع ، أكبر من الكدية وأصغر من الجبل – **وَالظِّرَابِ** – الجبال غير العالية – **وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ » . قَالَ : فَانْقَطَعَتْ** – السماء أو السحب – **وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ . قَالَ شَرِيكٌ : فَسَأَلْتُ أَنَساً أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ ؟ قَالَ : لاَ أَدْرِي.**

١٠١٤ – وعنه ﷺ **أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ** – نحو الباب الذي سمي فيما بعد باب القضاء ، وكانت دار عمر بن الخطاب ، وسميت دار القضاء ؛ لأنها بيعت في قضاء دينه ، فكان يقال لها دار قضاء دين عمر ، ثم طال الزمن فقيل لها : دار القضاء. وتأمل يا أخي القارئ أن الفاروق يستدين ، وتباع داره لقضاء دينه ! – **وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِماً ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: « اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ». قَالَ أَنَسٌ : وَلاَ وَاللَّهِ ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ ، وَلاَ قَزَعَةً ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ . قَالَ : فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ ، فَلاَ وَاللَّهِ ، مَا رَأَيْنَا**

الشَّمْسَ ستًّا ، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِى الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِماً ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا . قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ » . قَالَ : فَأَقْلَعَتْ ، وَخَرَجْنَا نَمْشِى فِى الشَّمْسِ . قَالَ شَرِيكٌ : سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ ؟ فَقَالَ : مَا أَدْرِى .

١٠١٥ – وعَنْه ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَحَطَ الْمَطَرُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا . فَدَعَا ، فَمُطِرْنَا ، فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى مَنَازِلِنَا ، فَمَا زِلْنَا نُمْطَرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ . قَالَ : فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنَّا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا » . قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّحَابَ يَتَقَطَّعُ يَمِيناً وَشِمَالاً ، يُمْطَرُونَ ، وَلاَ يُمْطَرُ أَهْلُ المدينة .

١٠١٦ – وعَنْه ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ : هَلَكَتِ الْمَوَاشِى ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ . فَدَعَا ، فَمُطِرْنَا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ ، وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِى ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا . فَقَامَ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ ». فَانْجَابَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ – أى خرجت السحب عن المدينة كما ينسلخ الثوب عن لابسه –.

١٠١٧ – وعَنْه ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِى ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَمُطِرُوا مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ ،

وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِى . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ عَلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ وَالآكَامِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ » .- والظاهر أن دعاء رفع المطر لا يحتاج خروجًا إلى المصلى ولا خطبة خاصة بخلاف طلب السقيا - فَانْجَابَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ .

١٠١٨ - وعنه ﷺ أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى النَّبِىِّ ﷺ هَلاَكَ الْمَالِ ، وَجَهْدَ الْعِيَالِ ، فَدَعَا اللَّهَ يَسْتَسْقِى ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَلاَ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ.- لم يجزم البخارى بالحكم ؛ لأن عدم ذكر الشيء لا يقتضى عدم وقوعه . والظاهر أن تحويل الرداء واستقبال الإمام القبلة خاص بالاستسقاء الذى يقام فى المصلى -.

٢- ويتمثل فى دعائه لجرير وإجابة الله له ، يصرح بذلك الحديث :

٦٠٨٩ - عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ : مَا حَجَبَنِى النَّبِىُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَلاَ رَآنِى إِلاَّ تَبَسَّمَ فِى وَجْهِى .

٦٠٩٠ - وعنه ﷺ قال : وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّى لاَ أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِى صَدْرِى ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ ، وَاجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا » .

٣-ويتمثل فى دعائه صلى الله عليه وسلم لعلى ﷺ، كما فى الحديث:

٤٢١٠ - عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ : « لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » . قَالَ : فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ : « أَيْنَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ » ؟ فَقِيلَ : هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِى عَيْنَيْهِ . قَالَ : « فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ » . فَأُتِىَ بِهِ ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فِى عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، فَقَالَ عَلِىٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ، فَقَالَ : « انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِىَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ » .

٤، ٥ – وخروجه صلى الله عليه وسلم من بيته ليلة الهجرة والشبان بأسلحتهم بالباب ، ولم يشعروا به ، وسراقة وفرسه واستجابة الله لرسوله فى هاتين القصتين وغيرهما خير دليل على إجابة الله لطلب رسوله ﷺ .

٦– ويتمثل فى دعائه صلى الله عليه وسلم لعروة بالبركة فى بيعه فأجاب الله دعاءه . يحدثنا عن ذلك الحديث :

٣٦٤٢ – عَنْ عُرْوَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ أَعْطَاهُ دِينَاراً يَشْتَرِى بِهِ شَاةً، فَاشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ ، وَجَاءَهُ بِدِينَارٍ وَشَاةٍ ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِى بَيْعِهِ ، وَكَانَ لَوِ اشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ .

محور إتيان الجمادات بما يأتيه العقلاء

١– ويتمثل فى حنين الجذع الذى كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم ، تصور هذه القصة الأحاديث :

٣٥٨٣ – عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ ، فَحَنَّ الْجِذْعُ ، فَأَتَاهُ ، فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ .

٣٥٨٤ – وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ – أَوْ رَجُلٌ –: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَراً ؟ قَالَ : « إِنْ

شِئْتُمْ » . فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَراً ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ ، الَّذِى يُسَكَّنُ ، قَالَ : « كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا » .

٣٥٨٥ – وعنه – رضى الله عنهما – قال : كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفاً عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ ، فَكَانَ النَّبِىُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتاً كَصَوْتِ الْعِشَارِ ، حَتَّى جَاءَ النَّبِىُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ .

٢–ويتمثل فى إخبار ذراع الشاة له صلى الله عليه وسلم بأنه مسموم، وفى مرسل الزهرى : « فلما ازدرد لقمته قال : إن الشاة تخبرنى أنها مسمومة » .

محور زيادة الماء والطعام ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم

وقد بلغ حد الشهرة والكثرة بحيث لا ينكره إلا مكابر ، نذكر من هذه الوقائع :

١– صاحبة المزادتين ، ونقص قصتها من صلب أحاديثها :

٣٤٤ – عَنْ عِمْرَانَ ﷺ قَالَ : كُنَّا فِى سَفَرٍ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ وَإِنَّا أَسْرَيْنَا – سرنا ليلا – حَتَّى كُنَّا فِى آخِرِ اللَّيْلِ – حتى صرنا فى آخر الليل – وَقَعْنَا وَقْعَةً – نمنا نومة – وَلاَ وَقْعَةَ أَحْلَى عِنْدَ الْمُسَافِرِ مِنْهَا ، فَمَا أَيْقَظَنَا إِلاَّ حَرُّ الشَّمْسِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ فُلاَنٌ – أبو بكر – ثُمَّ فُلاَنٌ – عمران – ثُمَّ فُلاَنٌ – يُسَمِّيهِمْ أَبُو رَجَاءٍ ، فَنَسِىَ عَوْفٌ – ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّابِعُ ، وَكَانَ النَّبِىُّ ﷺ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقَظْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ ، لأَنَّا لاَ نَدْرِى مَا يَحْدُثُ لَهُ فِى نَوْمِهِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ عُمَرُ ، وَرَأَى مَا أَصَابَ

النَّاسَ ، وكَانَ رَجُلاً جَلِيداً – صلبًا قوى الصوت – فكَبَّرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ لِصَوْتِهِ النَّبِىُّ ﷺ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ شَكَوْا إِلَيْهِ الَّذِى أَصَابَهُمْ – أى نومهم عن الصلاة – قَالَ : « لاَ ضَيْرَ – أَوْ لاَ يَضِيرُ – ارْتَحِلُوا » . فَارْتَحَلَ فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ نَزَلَ ، فَدَعَا بِالْوَضُوءِ ، فَتَوَضَّأَ وَنُودِىَ بِالصَّلاَةِ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلاَتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ ، قَالَ : « مَا مَنَعَكَ يَا فُلاَنُ أَنْ تُصَلِّىَ مَعَ الْقَوْمِ » ؟ قَالَ : أَصَابَتْنِى جَنَابَةٌ وَلاَ مَاءَ . قَالَ : « عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ ، فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ » .

ثُمَّ سَارَ النَّبِىُّ ﷺ فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَلَ ، فَدَعَا فُلاَناً – كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو رَجَاءٍ نَسِيَهُ عَوْفٌ – وَدَعَا عَلِيًّا ، فَقَالَ : « اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ » . فَانْطَلَقَا ، فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ – أَوْ سَطِيحَتَيْنِ – تركب بعيرًا يحمل قربتين كبيرتين على جانبيها ، والسطيحة المزادة – مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا ، فَقَالاَ لَهَا : أَيْنَ الْمَاءُ ؟ قَالَتْ : عَهْدِى بِالْمَاءِ أَمْسِ هَذِهِ السَّاعَةَ – فى مثل هذه الساعة – وَنَفَرُنَا – ورجالنا وجماعتنا – خُلُوفاً – خلفنا –. قَالاَ لَهَا : انْطَلِقِى إِذاً . قَالَتْ : إِلَى أَيْنَ ؟ قَالاَ : إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَتِ : الَّذِى يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ – الخارج عن دين إلى دين – قَالاَ : هُوَ الَّذِى تَعْنِينَ ، فَانْطَلِقِى . فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِىِّ ﷺ ، وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ ، قَالَ : فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا ، وَدَعَا النَّبِىُّ ﷺ بِإِنَاءٍ ، فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ – أَوِ السَّطِيحَتَيْنِ – وَأَوْكَأَ – ربط – أَفْوَاهَهُمَا ، وَأَطْلَقَ الْعَزَالِىَ – فتحها وفك رباطها ، والعزالى جمع عزلاء وهو مصب الماء من المزادة – وَنُودِىَ فِى النَّاسِ اسْقُوا وَاسْتَقُوا – اسقوا دوابكم واشربوا – فَسَقَى مَنْ شَاءَ ، وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ ، وَكَانَ آخِرَ ذَاكَ – السقى – أَنْ أَعْطَى الَّذِى أَصَابَتْهُ الْجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ قَالَ « اذْهَبْ ، فَأَفْرِغْهُ

عَلَيْكَ » – فى هذا دليل على أن التيمم يقوم مقام الوضوء حتى يجد الماء – وَهْىَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا ، وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا – وانفضوا عن مزادتيها – وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا ، فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم « اجْمَعُوا لَهَا » . فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ ، حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَاماً ، فَجَعَلُوهَا فِى ثَوْبٍ ، وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا ، وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالَ لَهَا « تَعْلَمِينَ مَا رَزِئْنَا – ما نقصنا – مِنْ مَائِكِ شَيْئاً ، وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِى أَسْقَانَا » . فَأَتَتْ أَهْلَهَا ، وَقَدِ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ – أى تأخرت عن موعدها – قَالُوا : مَا حَبَسَكِ يَا فُلاَنَةُ ؟ قَالَتِ : الْعَجَبُ ، لَقِيَنِى رَجُلاَنِ فَذَهَبَا بِى إِلَى هَذَا الَّذِى يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ ، فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ – أى أسحر ما بين السماء والأرض – وَقَالَتْ – أشارت – بِإِصْبَعَيْهَا الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ ، فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ – تَعْنِى السَّمَاءَ وَالأَرْضَ – أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا .

فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ يُغِيرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلاَ يُصِيبُونَ الصِّرْمَ الَّذِى هِىَ مِنْهُ – ولا يهاجمون مجمع البيوت التى هى منها – فَقَالَتْ يَوْماً لِقَوْمِهَا : مَا أُرَى أَنَّ هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ يَدَعُونَكُمْ عَمْداً ، فَهَلْ لَكُمْ فِى الإِسْلاَمِ ؟ فَأَطَاعُوهَا فَدَخَلُوا فِى الإِسْلاَمِ .

٣٥٧١ – عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى مَسِيرٍ ، فَأَدْلَجُوا – ساروا أول ليلتهم – لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ – قبل الفجر بقليل – عَرَّسُوا – نزلوا – فَغَلَبَتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ لاَ يُوقَظُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَنَامِهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ ، فَقَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَجَعَلَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ ، حَتَّى اسْتَيْقَظَ النَّبِىُّ ﷺ فَنَزَلَ وَصَلَّى بِنَا

الْغَدَاةَ ، فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : « يَا فُلاَنُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا » ؟ قَالَ : أَصَابَتْنِى جَنَابَةٌ . فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَيَمَّمَ بِالصَّعِيدِ ، ثُمَّ صَلَّى . وَجَعَلَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى رَكُوبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشاً شَدِيداً ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ سَادِلَةٍ – مدلية – رِجْلَيْهَا بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ ، فَقُلْنَا لَهَا : أَيْنَ الْمَاءُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّهُ لاَ مَاءَ . فَقُلْنَا : كَمْ بَيْنَ أَهْلِكِ وَبَيْنَ الْمَاءِ ؟ قَالَتْ : يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ . فَقُلْنَا : انْطَلِقِى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَتْ : وَمَا رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرِهَا حَتَّى اسْتَقْبَلْنَا بِهَا النَّبِيَّ ﷺ ، فَحَدَّثَتْهُ بِمِثْلِ الَّذِى حَدَّثَتْنَا غَيْرَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا مُؤْتِمَةٌ – أى ذات أيتام – فَأَمَرَ بِمَزَادَتَيْهَا ، فَمَسَحَ فِى الْعَزْلاَوَيْنِ ، فَشَرِبْنَا عِطَاشاً أَرْبَعِينَ رَجُلاً حَتَّى رَوِينَا ، فَمَلأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ نَسْقِ بَعِيراً وَهْيَ – أى المزادتان – تَكَادُ تَنِضُّ – تسيل – مِنَ الْمِلْءِ – من شدة امتلائها – ثُمَّ قَالَ : « هَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ » . فَجُمِعَ لَهَا مِنَ الْكِسَرِ وَالتَّمْرِ ، حَتَّى أَتَتْ أَهْلَهَا ، قَالَتْ : لَقِيتُ أَسْحَرَ النَّاسِ ، أَوْ هُوَ نَبِيٌّ كَمَا زَعَمُوا ، فَهَدَى اللَّهُ ذَاكَ الصِّرْمَ – ذلك المجمع – بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ ، فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا .

٢– طلب عمر ﷺ من رسول الله ﷺ أن يدعو على قليـــل الزاد بالبركة فيدعو فيبارك الله تعالى ، يصور هذه الحادثة الحديث :

٢٤٨٤ – عَنْ سَلَمَةَ ﷺ قَالَ : خَفَّتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ وَأَمْلَقُوا ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فِى نَحْرِ إِبِلِهِمْ فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : مَا بَقَاؤُكُمْ بَعْدَ إِبِلِكُمْ ؟ فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَقَاؤُهُمْ بَعْدَ إِبِلِهِمْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَادِ فِى النَّاسِ ، فَيَأْتُونَ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ » . فَبُسِطَ لِذَلِكَ نِطَعٌ ، وَجَعَلُوهُ عَلَى النِّطَعِ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا وَبَرَّكَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأَوْعِيَتِهِمْ ، فَاحْتَثَى النَّاسُ حَتَّى فَرَغُوا ، ثُمَّ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ » .

٣- جابر رضي الله عنه يدعو رسول الله ﷺ لطعام قليل فى غزوة الخندق ، فيدعو رسول الله ﷺ كل من فى الخندق لهذا الطعام ، فيزيد ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم ، يحدثنا بذلك الحديثان :

٤١٠١ - **عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ** - قطعة صلبة من الحجر ، شديدة الصلابة ، استعصت على الكسر - **فَجَاءُوا النَّبِىَّ ﷺ فَقَالُوا : هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِى الْخَنْدَقِ ، فَقَالَ : « أَنَا نَازِلٌ ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا ، فَأَخَذَ النَّبِىُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ** - أى رملا سائلا - **فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِى إِلَى الْبَيْتِ** - أى ائذن لى بأن أذهب إلى بيتنا زمنا قليلا لمهمة ، فأذن له - **فَقُلْتُ لاِمْرَأَتِى : رَأَيْتُ بِالنَّبِىِّ ﷺ شَيْئًا ، مَا كَانَ فِى ذَلِكَ صَبْرٌ ، فَعِنْدَكِ شَىْءٌ ؟ قَالَتْ : عِنْدِى شَعِيرٌ** - فى رواية « صاع » أى أربع خفنات - **وَعَنَاقٌ** - أنثى معز - **فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِى الْبُرْمَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ** - قد لان ورطب وتخمر - **وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِىِّ** - بين الحجارة الثلاثة المعدة لوضع النار فى وسطها ، وفوقها القدر - **قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ فَقُلْتُ : طُعَيِّمٌ لِى** - أى طعام قليل عندى - **فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ . قَالَ : « كَمْ هُوَ » ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ ، قَالَ : « كَثِيرٌ طَيِّبٌ ». قَالَ : « قُلْ لَهَا لاَ تَنْزِعُ الْبُرْمَةَ وَلاَ الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِىَ » . فَقَالَ : « قُومُوا »** - فى رواية « فقال للمسلمين جميعًا قوموا » - **فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ : وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِىُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ . قَالَتْ : هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ : نَعَمْ** - فى رواية : « قال : لقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقلت :

جاء الخلق على صاع من شعير وعناق ، فدخلت على امرأتى أقول : افتضحت . جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين ، فقالت : هل سألك كم طعامك ؟ فقلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم ، ونحن قد أخبرنا بما عندنا ، فكشفت عنى غمًّا شديدًا - **فَقَالَ : « ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا »** - أى لا يضغط بعضكم على بعض ، أى لا تتزاحموا - **فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ** - يغطيها - **وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ** - يأخذ اللحم من البرمة - **فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا ، وَبَقِىَ بَقِيَّةٌ** - فى رواية « فما زال يقرب إلى الناس ، حتى شبعوا أجمعون ، ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا » - **قَالَ : « كُلِى هَذَا وَأَهْدِى** - فى رواية «فلم نزل نأكل ونهدى يومنا أجمع» - **فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ »** .

٤١٠٢ - وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ : لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِىِّ ﷺ خَمَصًا - ضمورًا فى البطن - **شَدِيدًا ، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِى ، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَىْءٌ ؟ فَإِنِّى رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا . فَأَخْرَجَتْ إِلَىَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ** - عنز صغير تألف البيوت وتعيش فيها - **فَذَبَحْتُهَا ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِى ، وَقَطَّعْتُهَا فِى بُرْمَتِهَا ، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : لاَ تَفْضَحْنِى بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ . فَجِئْتُهُ ، فَسَارَرْتُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا ، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ . فَصَاحَ النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ : « يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُوْرًا** - كلمة حبشية الأصل ، والمراد هنا صنع صنيعًا وعرسًا ووليمة - **فَحَىَّ هَلا بِكُمْ** - أى فأهلا بكم ، هلموا مسرعين - » . **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى**

أجِىءَ » . فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِى ، فَقَالَتْ : بِكَ وَبِكَ . فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتُ الَّذِى قُلْتِ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا ، فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ، ثُمَّ قَالَ : « ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِى وَاقْدَحِى مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا ، وَهُمْ أَلْفٌ ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا – مالوا عن الطعام ، وتحولوا عنه – وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ – تغلى وتفور – كَمَا هِىَ ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ .

٤- أبو طلحة زوج أم أنس يدعو رسول الله ﷺ لطعام قليل ، فيدعو رسول الله ﷺ كل من كان فى المسجد لهذا الطعام ، فيزيد ببركة دعائه . يحدثنا عن ذلك الحديث :

٥٣٨١ – عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال : قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَىْءٍ ؟ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَاراً لَهَا ، فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِى وَرَدَّتْنِى بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَذَهَبْتُ بِهِ ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِى الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ » ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « بِطَعَامٍ » ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ : « قُومُوا » . فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نُطْعِمُهُمْ . فَقَالَتْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِىَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى دَخَلاَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلُمِّى يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ » فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ ، فَأَمَرَ بِهِ ، فَفُتَّ ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً لَهَا ، فَأَدَمَتْهُ ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ قَالَ : « ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ » .

فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا ، ثُمَّ قَالَ : « ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ » . فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا ، ثُمَّ قَالَ : « ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ » . فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا ، ثُمَّ أَذِنَ لِعَشَرَةٍ ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا ، وَالْقَوْمُ ثَمَانُونَ رَجُلاً .

٥- أم سليم أم أنس - رضى الله عنها - تهدى رسول الله ﷺ طعامًا ليلة عرسه بأم المؤمنين زينب بنت جحش ، فيزيد الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ، يحدثنا عن ذلك الحديث :

٥١٦٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِىُّ ﷺ عَرُوساً بِزَيْنَبَ فَقَالَتْ لِى أُمُّ سُلَيْمٍ : لَوْ أَهْدَيْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً ؟ فَقُلْتُ لَهَا : افْعَلِى . فَعَمَدَتْ إِلَى تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ ، فَاتَّخَذَتْ حَيْسَةً فِى بُرْمَةٍ ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا مَعِى إِلَيْهِ ، فَانْطَلَقْتُ بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِى : « ضَعْهَا » . ثُمَّ أَمَرَنِى ، فَقَالَ : « ادْعُ لِى رِجَالاً - سَمَّاهُمْ - وَادْعُ لِى مَنْ لَقِيتَ » . قَالَ : فَفَعَلْتُ الَّذِى أَمَرَنِى ، فَرَجَعْتُ ، فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَيْسَةِ ، وَتَكَلَّمَ بِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشَرَةً عَشَرَةً ، يَأْكُلُونَ مِنْهَا ، وَيَقُولُ لَهُمْ : « اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ » . قَالَ : حَتَّى تَصَدَّعُوا كُلُّهُمْ عَنْهَا ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ ، وَبَقِىَ نَفَرٌ يَتَحَدَّثُونَ . قَالَ : وَجَعَلْتُ أَغْتَمُّ ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِىُّ ﷺ نَحْوَ الْحُجُرَاتِ ، وَخَرَجْتُ فِى إِثْرِهِ فَقُلْتُ : إِنَّهُمْ قَدْ ذَهَبُوا . فَرَجَعَ ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ ، وَأَرْخَى السِّتْرَ ، وَإِنِّى لَفِى الْحُجْرَةِ ، وَهْوَ يَقُولُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ (١) .

(١) سورة الأحزاب - الآية : ٥٣ .

٦- ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم حتى توضأ الناس وشربوا ، يقص هذه القصة الحديث :

٥٦٣٩ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ : قَدْ رَأَيْتُنِى مَعَ النَّبِىِّ ﷺ وَقَدْ حَضَرَتِ الْعَصْرُ ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ فَجُعِلَ فِى إِنَاءٍ ، فَأُتِىَ النَّبِىُّ ﷺ بِهِ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ ، وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « حَىَّ عَلَى أَهْلِ الْوُضُوءِ ، الْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ » . فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا ، فَجَعَلْتُ لاَ آلُو مَا جَعَلْتُ فِى بَطْنِى مِنْهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ . قُلْتُ لِجَابِرٍ : كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : أَلْفاً وَأَرْبَعَمِائَةٍ . وفى رواية : « خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً » .

٧- واشترى رسول الله ﷺ شاة فى سفر ، ومعه ثلاثون ومائة من الصحابة وشوى سواد البطن ، وحز بالسكين لكل واحد منهم ، وأكلوا جميعًا من لحمها حتى شبعوا ، وبقى لحم يملأ قصعتين ، يصور هذا الحديث :

٥٣٨٢ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ - رضى الله عنهما - قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ ثَلاَثِينَ وَمِائَةً ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ » ؟ فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوُهُ ، فَعُجِنَ ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَبَيْعٌ أَمْ عَطِيَّةٌ أَوْ - قَالَ - هِبَةٌ » ؟ قَالَ : لاَ بَلْ بَيْعٌ . قَالَ : فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً فَصُنِعَتْ ، فَأَمَرَ نَبِىُّ اللَّهِ ﷺ بِسَوَادِ الْبَطْنِ يُشْوَى ، وَايْمُ اللَّهِ مَا مِنَ الثَّلاَثِينَ وَمِائَةٍ إِلاَّ قَدْ حَزَّ لَهُ حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ، إِنْ كَانَ شَاهِداً أَعْطَاهَا إِيَّاهُ ، وَإِنْ كَانَ غَائِباً خَبَأَهَا لَهُ ، ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا قَصْعَتَيْنِ ، فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا ، وَفَضَلَ فِى الْقَصْعَتَيْنِ ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ . أَوْ كَمَا قَالَ .

٨- وحانت صلاة العصر وليس عند القوم ماء ، فنبع الماء من بين

أصابعه صلى الله عليه وسلم ، فتوضئوا أجمعون ، يحدثنا عن ذلك الحديث :

١٦٩ – عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاَةُ الْعَصْرِ ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ ، فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأُتِىَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ . قَالَ : فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ . والحديث :

٥٦٣٩ – عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ : قَدْ رَأَيْتُنِى مَعَ النَّبِىِّ ﷺ وَقَدْ حَضَرَتِ الْعَصْرُ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ ، فَجُعِلَ فِى إِنَاءٍ ، فَأُتِىَ النَّبِىُّ ﷺ بِهِ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « حَيَّ عَلَى أَهْلِ الْوُضُوءِ ، الْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ » . فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا ، فَجَعَلْتُ لاَ آلُو مَا جَعَلْتُ فِى بَطْنِى مِنْهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ . قُلْتُ لِجَابِرٍ : كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : أَلْفاً وَأَرْبَعَمِائَةٍ .

٩– ويحدثنا جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – عن الدين الذى تركه أبوه ليهودى ، وأن بركة الرسول ﷺ حلت فى ثمر النخلات التى تركها ، فكفت فى سداد الدين وفاضت . نجمع أطراف القصة من مجموعة الأحاديث :

٢٣٩٥ – عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – أَنَّ أَبَاهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيداً ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَاشْتَدَّ الْغُرَمَاءُ فِى حُقُوقِهِمْ ، فَأَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا تَمْرَ حَائِطِى وَيُحَلِّلُوا أَبِى – هذا هو الشاهد – **فَأَبَوْا ، فَلَمْ يُعْطِهِمِ النَّبِىُّ ﷺ حَائِطِى ، وَقَالَ « سَنَغْدُو عَلَيْكَ » . فَغَدَا عَلَيْنَا حِينَ أَصْبَحَ ، فَطَافَ فِى النَّخْلِ ، وَدَعَا فِى ثَمَرِهَا بِالْبَرَكَةِ ، فَجَدَدْتُهَا**

فَقَضَيْتُهُمْ ، وَبَقِىَ لَنَا مِنْ تَمْرِهَا .

٢٣٩٦ - وعنه - رضى الله عنهما - أَنَّ أَبَاهُ تُوُفِّىَ ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلاَثِينَ وَسْقاً لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ ، فَأَبَى أَنْ يُنْظِرَهُ ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَلَّمَ الْيَهُودِىَّ ؛ لِيَأْخُذَ ثَمَرَ نَخْلِهِ بِالَّذِى لَهُ فَأَبَى ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّخْلَ ، فَمَشَى فِيهَا، ثُمَّ قَالَ لِجَابِرٍ : « جُدَّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ الَّذِى لَهُ » . فَجَدَّهُ بَعْدَ مَا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَوْفَاهُ ثَلاَثِينَ وَسْقاً ، وَفَضَلَتْ لَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَسْقاً ، فَجَاءَ جَابِرٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؛ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِى كَانَ ، فَوَجَدَهُ يُصَلِّى الْعَصْرَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ ، فَقَالَ : « أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّابِ » . فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَى عُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَقَدْ عَلِمْتُ حِينَ مَشَى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيُبَارَكَنَّ فِيهَا .

٢٧٨١ - وعنه - رضى الله عنهما - أَنَّ أَبَاهُ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً ، فَلَمَّا حَضَرَ جِدَادُ النَّخْلِ - أى قطع ثمره - أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِى اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً كَثِيراً ، وَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ . قَالَ : « اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَتِهِ » - أى اجعل كل نوع من التمر فى بيدر(جرين) يخصه -. فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ أُغْرُوا بِى تِلْكَ السَّاعَةَ - أى أثارونى وهيجونى بكلامهم ونظراتهم وتصرفاتهم - فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَراً ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « ادْعُ أَصْحَابَكَ » . فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِى ، وَأَنَا وَاللَّهِ رَاضٍ أَنْ يُؤَدِّىَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِى ، وَلاَ أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِى بِتَمْرَةٍ ، فَسَلِمَ وَاللَّهِ الْبَيَادِرُ كُلُّهَا حَتَّى أَنِّى أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً.

٢٧٠٩ – وعنه – رضى الله عنهما – قَالَ : تُوُفِّىَ أَبِى وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَعَرَضْتُ عَلَى غُرَمَائِهِ أَنْ يَأْخُذُوا التَّمْرَ بِمَا عَلَيْهِ ، فَأَبَوْا وَلَمْ يَرَوْا أَنَّ فِيهِ وَفَاءً ، فَأَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « إِذَا جَدَدْتَهُ فَوَضَعْتَهُ فِى الْمِرْبَدِ آذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ » . فَجَاءَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ قَالَ : « ادْعُ غُرَمَاءَكَ ، فَأَوْفِهِمْ » . فَمَا تَرَكْتُ أَحَداً لَهُ عَلَى أَبِى دَيْنٌ إِلاَّ قَضَيْتُهُ ، وَفَضَلَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ وَسْقاً سَبْعَةٌ عَجْوَةٌ ، وَسِتَّةٌ لَوْنٌ أَوْ سِتَّةٌ عَجْوَةٌ وَسَبْعَةٌ لَوْنٌ ، فَوَافَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَضَحِكَ ، فَقَالَ : « ائْتِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَخْبِرْهُمَا » . فَقَالاَ لَقَدْ عَلِمْنَا إِذْ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا صَنَعَ أَنْ سَيَكُونُ ذَلِكَ . وفى رواية : صَلاَةَ الْعَصْرِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا بَكْرٍ وَلاَ ضَحِكَ ، وَقَالَ وَتَرَكَ أَبِى عَلَيْهِ ثَلاَثِينَ وَسْقاً دَيْناً . وفى رواية : صَلاَةَ الظُّهْرِ .

٢١٢٧ – وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : تُوُفِّىَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ – هو أبوه استشهد يوم أحد – وَعَلَيْهِ دَيْنٌ – قالوا : كان الدين ثلاثين وسقًا من التمر لرجل من اليهود فاستنظره جابر ، فأبى أن ينظره ، فكلم رسول الله ﷺ الرجل اليهودى على أن يأخذ تمر نخله بالذى له ، فأبى ، فقال له : أنظر جابرًا من دينك الذى لك على أبيه إلى الصرم المقبل ، فقال : ما أنا بفاعل ، فأراد عمر أن يبطش به ، فقال له النبى ﷺ : مه يا عمر . هو حقه – فَاسْتَعَنْتُ النَّبِىَّ ﷺ عَلَى غُرَمَائِهِ أَنْ يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ ، فَطَلَبَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَقَالَ لِى – فى رواية : فانطلق معى النبى ﷺ إلى الحائط فمشى فيه ، ثم قال لى . وفى رواية : فجاء هو وأبو بكر وعمر فاستقرأ النخل ، يقوم تحت كل نخلة ، لا أدرى ما يقول حتى مر على آخرها – النَّبِىُّ ﷺ « اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافاً ، الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ ، وَعَذْقَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ – نوع من التمر معروف بالمدينة بهذا

الاسم - ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَيَّ » . فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَلَسَ عَلَى أَعْلاهُ ، أَوْ فِي وَسَطِهِ ثُمَّ قَالَ : « كِلْ لِلْقَوْمِ » . فَكِلْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمُ الَّذِي لَهُمْ ، وَبَقِيَ تَمْرِي ، كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ . وفي رواية : فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّاهُ. وفي رواية: « جُذَّ لَهُ - أي اقطع واجمع تمرك - فَأَوْفِ لَهُ».

٣٥٨٠ - وعنه ﷺ أَنَّ أَبَاهُ تُوُفِّيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : إِنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً وَلَيْسَ عِنْدِي إِلاَّ مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ ، وَلاَ يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ سِنِينَ مَا عَلَيْهِ ، فَانْطَلِقْ مَعِي لِكَيْ لاَ يُفْحِشَ عَلَيَّ الْغُرَمَاءُ . فَمَشَى حَوْلَ بَيْدَرٍ مِنْ بَيَادِرِ التَّمْرِ ، فَدَعَا ثَمَّ آخَرَ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « انْزِعُوهُ » . فَأَوْفَاهُمُ الَّذِي لَهُمْ ، وَبَقِيَ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ .

٤٠٥٣ - وعنه - رضى الله عنهما - أَنَّ أَبَاهُ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً ، وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ جِذَاذُ النَّخْلِ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي قَدِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتَرَكَ دَيْناً كَثِيراً ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ . فَقَالَ : « اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَةٍ » . فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ كَأَنَّهُمْ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَراً ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « ادْعُ لَكَ أَصْحَابَكَ » . فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللَّهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ ، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي ، وَلاَ أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ ، فَسَلَّمَ اللَّهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً .

٢٦٠١ - وعنه - رضى الله عنهما - أَنَّ أَبَاهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيداً، فَاشْتَدَّ الْغُرَمَاءُ فِي حُقُوقِهِمْ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمْتُهُ ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا تَمْرَ حَائِطِي ، وَيُحَلِّلُوا أَبِي ، فَأَبَوْا ، فَلَمْ يُعْطِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

حَائِطِى ، وَلَمْ يَكْسِرْهُ لَهُمْ ، وَلَكِنْ قَالَ : « سَأَغْدُو عَلَيْكَ » . فَغَدَا عَلَيْنَا حَتَّى أَصْبَحَ ، فَطَافَ فِى النَّخْلِ ، وَدَعَا فِى ثَمَرِهِ بِالْبَرَكَةِ ، فَجَدَدْتُهَا ، فَقَضَيْتُهُمْ حُقُوقَهُمْ ، وَبَقِىَ لَنَا مِنْ ثَمَرِهَا بَقِيَّةٌ ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ : « اسْمَعْ - وَهُوَ جَالِسٌ - يَا عُمَرُ » . فَقَالَ : أَلاَّ يَكُونُ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ .

٢٤٠٥ - وعنه ﷺ قَالَ : أُصِيبَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْناً ، فَطَلَبْتُ إِلَى أَصْحَابِ الدَّيْنِ أَنْ يَضَعُوا بَعْضاً مِنْ دَيْنِهِ فَأَبَوْا ، فَأَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَاسْتَشْفَعْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ فَأَبَوْا ، فَقَالَ : « صَنِّفْ تَمْرَكَ كُلَّ شَىْءٍ مِنْهُ عَلَى حِدَتِهِ ، عِذْقَ ابْنِ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ ، وَاللِّينَ عَلَى حِدَةٍ ، وَالْعَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ أَحْضِرْهُمْ حَتَّى آتِيَكَ » . فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ جَاءَ ﷺ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ، وَكَالَ لِكُلِّ رَجُلٍ حَتَّى اسْتَوْفَى ، وَبَقِىَ التَّمْرُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ .

واعتز الصحابة بهذه البركات ، فقال ابن مسعود :

٣٥٧٩ - عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفاً ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِى سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ ، فَقَالَ : « اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ » . فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِى الإِنَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « حَىَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ » . فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ.

وحرصوا عليها فى شتى أماكنهم وأزمنتهم . فهذا عتبان يطلب من رسول الله ﷺ أن يصلى فى بيته فى مكان يتخذه مصلى تبركًا بصلاة النبى ﷺ ، يصور لنا هذه القصة الحديث :

٤٢٥ - عن مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِىُّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ -

وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الأَنْصَارِ - أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِى ، وَأَنَا أُصَلِّى لِقَوْمِى ، فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِى الَّذِى بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِىَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّىَ بِهِمْ ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِى فَتُصَلِّىَ فِى بَيْتِى ، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى . قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . قَالَ عِتْبَانُ : فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّىَ مِنْ بَيْتِكَ » ؟ قَالَ فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ سَلَّمَ ، قَالَ : وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ . قَالَ : فَثَابَ فِى الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لاَ تَقُلْ ذَلِكَ ، أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » ؟ قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . يَبْتَغِى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » .

وها هم صحابة رسول الله ﷺ يتبركون فى الشرب من قدح النبى ﷺ قال أبو بردة : قال لى عبد الله بن سلام : ألا أسقيك فى قدح شرب النبى ﷺ فيه ؟ ولما ولى عمر بن عبد العزيز إمرة المدينة استوهب هذا القدح من سهل بن سعد ليتبرك بالشرب فيه ، فوهبه له .

وكان عند أنس قدح آخر ، وكان فيه هذا الحديث :

٥٦٣٨ - عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ قَالَ : رَأَيْتُ قَدَحَ النَّبِىِّ ﷺ عِنْدَ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ ، وَكَانَ قَدِ انْصَدَعَ ، فَسَلْسَلَهُ بِفِضَّةٍ قَالَ : وَهُوَ قَدَحٌ جَيِّدٌ عَرِيضٌ

مِنْ نُضَارٍ . قَالَ : قَالَ أَنسٌ : لَقَدْ سَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِى هَذَا الْقَدَحِ أَكْثَرَ مِنْ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ إِنَّهُ كَانَ فِيهِ حَلْقَةٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَأَرَادَ أَنسٌ أَنْ يَجْعَلَ مَكَانَهَا حَلْقَةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ : لاَ تُغَيِّرَنَّ شَيْئاً صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَرَكَهُ .

وقال أنس : سقيت رسول الله ﷺ فى هذا القدح الشراب كله ، العسل والنبيذ والماء واللبن .

وها هم الصحابة يتمسحون بفضل وضوئه صلى الله عليه وسلم ، يصور ذلك الحديثان :

١٨٧ – عن أَبِى جُحَيْفَةَ ﷺ قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ ، فَأُتِىَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ ، فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ ، فَصَلَّى النَّبِىُّ ﷺ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ .

٣٧٦ – عَنْ أَبِى جُحَيْفَةَ ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِى قُبَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ ، وَرَأَيْتُ بِلاَلاً أَخَذَ وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَبْتَدِرُونَ ذَاكَ الْوَضُوءَ ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئاً تَمَسَّحَ بِهِ ، وَمَنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئاً أَخَذَ مِنْ بَلَلِ يَدِ صَاحِبِهِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بِلاَلاً أَخَذَ عَنَزَةً فَرَكَزَهَا ، وَخَرَجَ النَّبِىُّ ﷺ فِى حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مُشَمِّرًا ، صَلَّى إِلَى الْعَنَزَةِ بِالنَّاسِ رَكْعَتَيْنِ ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ وَالدَّوَابَّ يَمُرُّونَ مِنْ بَيْنِ يَدَىِ الْعَنَزَةِ .

وخاتمه صلى الله عليه وسلم يحتفظ به الخلفاء بعده ، كما يحدثنا بذلك الحديث :

٥٨٧٩ – عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : كَانَ خَاتَمُ النَّبِىِّ ﷺ فِى يَدِهِ ، وَفِى يَدِ أَبِى بَكْرٍ بَعْدَهُ ، وَفِى يَدِ عُمَرَ بَعْدَ أَبِى بَكْرٍ ، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ جَلَسَ عَلَى

بِئْرِ أَرِيسَ - قَالَ - فَأَخْرَجَ الْخَاتَمَ ، فَجَعَلَ يَعْبَثُ بِهِ ، فَسَقَطَ قَالَ : فَاخْتَلَفْنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مَعَ عُثْمَانَ ، فَنَنْزَحُ الْبِئْرَ ، فَلَمْ نَجِدْهُ .

وأم سلمة زوج النبى ﷺ تحتفظ بشيء من شعره صلى الله عليه وسلم يستشفى بها بعض المرضى بأن تغسل فى ماء ، ثم يشربه أو يغتسل به ، فتحصل له بركة الشعر ، ويشفى بإذن الله . يصور ذلك الحديث :

٥٨٩٦ - عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ أَرْسَلَنِى أَهْلِى إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ - وَقَبَضَ إِسْرَائِيلُ ثَلاثَ أَصَابِعَ مِنْ قصة فِيهَا شَعَرٌ مِنْ شَعَرِ النَّبِىِّ ﷺ وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَىْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَهُ ، فَاطَّلَعْتُ فِى الْجُلْجُلِ فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْرًا .

وقد حلق شعره صلى الله عليه وسلم ، ووزعه على الصحابة الشعرة والشعرتين . وتصور الأحاديث هذه القصة :

١٧٠ - عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : قُلْتُ لِعَبِيدَةَ عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِىِّ ﷺ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ ، أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ فَقَالَ : لأَنْ تَكُونَ عِنْدِى شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

١٧١ - وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ مِنْ شَعَرِهِ .

وفى حديث مسلم : عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا رَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْجَمْرَةَ وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ نَاوَلَ الْحَالِقَ شِقَّهُ الأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِىَّ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأَيْسَرَ فَقَالَ « احْلِقْ » . فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ ، فَقَالَ : « اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ » .

وذهب النساء بأطفالهن إلى رسول الله ﷺ ليمسح على رءوسهم ويحنكهم ويدعو لهم ، فهذا السائب بن يزيد تذهب به خالته كما فى

الحديثين :

٣٥٤٠ - عَنِ الْجُعَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَأَيْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ جَلْداً مُعْتَدِلاً ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مَا مُتِّعْتُ بِهِ سَمْعِى وَبَصَرِى إِلاَّ بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِنَّ خَالَتِى ذَهَبَتْ بِى إِلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِى شَاكٍ فَادْعُ اللَّهَ . قَالَ فَدَعَا لِى .

٣٥٤١ - عن السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : ذَهَبَتْ بِى خَالَتِى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِى . وَقِعٌ فَمَسَحَ رَأْسِى وَدَعَا لِى بِالْبَرَكَةِ ، وَتَوَضَّأَ ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

ومحمود بن الربيع يفخر بأن الرسول ﷺ مج فى وجهه وهو غلام من بئرهم فيقول :

١٨٩ - عَنِ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ : وَهُوَ الَّذِى مَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى وَجْهِهِ وَهْوَ غُلَامٌ مِنْ بِئْرِهِمْ . وَقَالَ عُرْوَةُ عَنِ الْمِسْوَرِ وَغَيْرِهِ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ النَّبِىُّ ﷺ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ .

تعقيب على المعجزات الحسية

كثير من المعجزات الحسية للرسل السابقين على الإسلام تتعلق بالطعام والشراب ، فبنو إسرائيل طلبوا من موسى عليه السلام ألوان الطعام ، قالوا : ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم

مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ (١) .

ولما عطشوا وقحطوا واستسقوا أخرج الله لهم الماء من الحجر : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) .

وصالح عليه السلام كانت معجزته الناقة . قال له قومه : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٣) . اقترحوا عليه ناقة عشراء ، تخرج من صخرة عينوها له ، فدعا الله ، فأخرجها له ، فكان لها نصيب من الماء تشربه ولا تبقى لهم منه شيئاً ولبنها فى هذا اليوم يقوم مقام الماء .

وقال الحواريون ﴿ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى

---

(١) سورة البقرة : ٦١ .

(٢) البقرة : ٦٠ .

(٣) الشعراء – الآيات : ١٥٣ – ١٥٧ .

مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ (١) .

والمحقق فى معجزاته صلى الله عليه وسلم يراها لا تبلغ نبع عيون الماء من الحجر لموسى عليه السلام ، ولا تبلغ نزول المائدة من السماء لعيسى عليه السلام فمعجزة موسى وعيسى منشأة مخلوقة من مبدئها ، ومعجزة رسول الله ﷺ إنما كانت فى التوالد والتكاثر ، لا فى التواجد .

قال العلماء : أحاديث تكثير الماء والطعام كثيرة مشهورة ، شهرة تلحق بالقطعى المتواتر ؛ لأنه رواها الثقات من العدد ، واجتمع عليها ورآها خلق كثير ، ولم يرد عن أحد منهم إنكار على راوى هذه الأخبار .

والله تعالى هو الخالق والموجد ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٧٤ ﴾ (٢).

---

(١) المائدة – الآيات : ١١٢– ١١٥ .

(٢) البقرة – الآية : ٧٤ .

السابقون إلى الإسلام
وماذا قدموه ؟

١- أبو بكر الصديق ﷺ

٣٦٦٠ - عن عَمَّار ﷺ قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلاَّ خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ . بلال ، وزيد بن حارثة ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية بن خلف ، وشقران عبد ورثه النبى ﷺ من أبيه ، والمرأتان : خديجة وأم أيمن .

وقد اتفق الجمهور على أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال الأحرار ، ولا عجب فهو الصديق المصادق الملازم ، فكان يرى من سلوك النبى ﷺ وأحواله ما جعله يتحقق أنه الرسول ، فلما دعاه بادر إلى تصديقه من أول وهلة .

كان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة ، وكان يسمى أيضًا عتيقًا .

فهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب . يجتمع مع النبى ﷺ فى مرة بن كعب .

ماذا قدم للإسلام ؟

كان أبو بكر رجلا تاجرًا ، يتكسب رزقًا حلالا طيبًا من تجارة الأقمشة والحرير ، ولم يكن يضع بضاعته فى دكان كما هو حال التجار الكبار اليوم ، بل كان بائعًا متجولا ، يضع بضاعته فى بيته ، ويحمل منها المطلوب والرائج على كتفه متحريًا الحلال البين الصافى ، متجنبًا الحرام والشبهات ، وقد مرَّ بنا أنه تقيأ مضغة من لحم أتاه بها خادمه من الكهانة .

بارك الله له فى تجارته ، فزاد رأس ماله على ألف ألف ، أنفقها كلها على دعوة الإسلام وقد مر بنا أنه كان بمكة يشترى العبيد المسلمين

المعذبين ويعتقهم .

كان صديقًا لمحمدٍ ﷺ منذ شبابهما ، فمحمد ﷺ يكبره بسنتين ، والمرء على دين خليله ، فلا عجب أن كان أول مصدق بالرسول ﷺ من الرجال الأحرار ، ولما أراد المشركون أن يثيروه ليكذب محمدًا ﷺ في الإسراء والمعراج ، وقالوا له : هل تصدق أنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد ، ولم يبرد فراش نومه ؟ قال : صدقته في أبعد من ذلك . صدقته في خبر السماء ، فسمى الصديق . وأوذى على إسلامه كما أوذى غيره ، وحاول أن يهاجر من مكة إلى الحبشة ، كما هاجر غيره ، فرده ابن الدغنة ، يحكى هذه المحاولة الحديث :

٣٩٠٥ – **عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قال : إِنَّ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلاَّ يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ، فَلَمَّا ابْتُلِىَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، حَتَّى بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ** – موضع باليمن – **لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهْوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ** – قبيلة مشهورة بقوة الرمى ، وكانوا حلفاء بنى زهرة من قريش – **فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِى قَوْمِى ، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِى الأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّى . قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ : فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ** – من بلده اختيارًا – **وَلاَ يُخْرَجُ** – من بلده إجبارًا – **فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ** – تعين المحتاج – **وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ** – العاجز – **وَتَقْرِى الضَّيْفَ** – وتكرمه – **وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ** – أجير وأمنع من يؤذيك – **فَارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ . فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِى أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ؟ وَيَصِلُ**

الرَّحِمَ ؟ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ ؟ وَيَقْرِى الضَّيْفَ ؟ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ؟ فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ – وأنفذت قريش وقبلت جواره وآمنوا أبا بكر – وَقَالُوا لابْنِ الدَّغِنَةِ : مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِى دَارِهِ ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ ، وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ ، فَإِنَّا قد خشينا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا ونِسَاءَنَا . قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لأَبِى بَكْرٍ ، فطفق أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِى دَارِهِ ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلاَةِ ولا القراءة فِى غَيْرِ دَارِهِ ، ثُمَّ بَدَا لأَبِى بَكْرٍ ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وبرز – ظهر المسجد – فَكَانَ يُصَلِّى فِيهِ ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فيتصف عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ – ويزدحمون على حوائطه حتى يسقط بعضهم على بعض ، ويكاد ينكسر من سقوطه – يَعْجَبُونَ مِنْهُ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلا بَكَّاءً ، لاَ يَمْلِكُ دمعه حين يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ . فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِى دَارِهِ ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ ، وَأَعْلَنَ الصَّلاَةَ وَالْقِرَاءَةَ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَانْهَهُ ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِى دَارِهِ فَعَلَ ، وَإِنْ أَبَى إِلاَّ أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ – وعهدك وجوارك وأمانتك – فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ – ونغدر بعهدك – وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لأَبِى بَكْرٍ الاسْتِعْلاَنَ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِى بَكْرٍ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِى عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَىَّ ذِمَّتِى ، فَإِنِّى لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّى أُخْفِرْتُ فِى رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنِّى أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...

٢٢٩٧– ... وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا – إلى المدينة – فَقَالَ لَهُ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّى أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِى » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِى أَنْتَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .

الهجرة إلى المدينة

٣٩٠٥ - ... قَالَ عُرْوَةُ : قَالَتْ عَائِشَةُ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِى بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ فِى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لأَبِى بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا - فِى سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاءٌ لَهُ أَبِى وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِى هَذِهِ السَّاعَةِ إِلاَّ أَمْرٌ . قَالَتْ : فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِى بَكْرٍ : « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِ: نَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَإِنِّى قَدْ أُذِنَ لِى فِى الْخُرُوجِ » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصَّحَابَةُ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَخُذْ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بِالثَّمَنِ » . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِى جِرَابٍ ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِى بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقِ - قَالَتْ - ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِى جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى بَكْرٍ وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلاَّ وَعَاهُ ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِى بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ ، فَيَبِيتَانِ فِى رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ

مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا ، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِى الثَّلاَثِ ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلا مِنْ بَنِى الدِّيلِ ، وَهْوَ مِنْ بَنِى عَبْدِ بْنِ عَدِىٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا - وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِى آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِىِّ ، وَهْوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا ، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ .

٥٨٠٧ - عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ : هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ « عَلَى رِسْلِكَ ، فَإِنِّى أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِى » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَوَ تَرْجُوهُ بِأَبِى أَنْتَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ لِصُحْبَتِهِ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . قَالَ عُرْوَةُ : قَالَتْ عَائِشَةُ : فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِى بَيْتِنَا فِى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَقَالَ قَائِلٌ لأَبِى بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلا مُتَقَنِّعًا ، فِى سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدًا لَهُ بِأَبِى وَأُمِّى ، وَاللَّهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِى هَذِهِ السَّاعَةِ إِلاَّ لأَمْرٍ . فَجَاءَ النَّبِىُّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ حِينَ دَخَلَ لأَبِى بَكْرٍ : « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ » . قَالَ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَإِنِّى قَدْ أُذِنَ لِى فِى الْخُرُوجِ » . قَالَ : فَالصُّحْبَةُ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قَالَ : فَخُذْ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَىَّ هَاتَيْنِ . قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « بِالثَّمَنِ » . قَالَتْ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ ، وَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِى جِرَابٍ ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِى بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا ، فَأَوْكَتْ بِهِ الْجِرَابَ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُسَمَّى ذَاتَ النِّطَاقِ ، ثُمَّ لَحِقَ النَّبِىُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ثَوْرٌ ،

فَمَكُثَ فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى بَكْرٍ ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ لَقِنٌ ثَقِفٌ ، فَيَرْحَلُ مِنْ عِنْدِهِمَا سَحَرًا ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا يُكَادَانِ بِهِ إِلاَّ وَعَاهُ ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِى بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ ، فَيَبِيتَانِ فِى رِسْلِهَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِى الثَّلاَثِ .

٣٩٠٦ – عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكٍ الْمُدْلِجِىُّ – وَهُوَ ابْنُ أَخِى سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ – أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ : جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِى بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِى بَنِى مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ : إِنِّى قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ – أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ . قَالَ سُرَاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا . ثُمَّ لَبِثْتُ فِى الْمَجْلِسِ سَاعَةً ، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِى أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِى وَهِىَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَىَّ ، وَأَخَذْتُ رُمْحِى ، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِى فَرَكِبْتُهَا ، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِى حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَعَثَرَتْ بِى فَرَسِى ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا فَقُمْتُ ، فَأَهْوَيْتُ يَدِى إِلَى كِنَانَتِى فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ فَخَرَجَ الَّذِى أَكْرَهُ ، فَرَكِبْتُ فَرَسِى ، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ ، تُقَرِّبُ بِى حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِى فِى الأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا ، ثُمَّ

زَجرتُها فنَهضَتْ ، فَلَمْ تَكدْ تُخرجُ يَدَيْهَا ، فَلَمَّا استَوتْ قَائِمَــةً ، إذَا لأثَــرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِى السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ ، فَاستَقْسَمْتُ بِالأزْلامِ ، فَخَــرَجَ الَّذِى أكرَهُ ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأمَانِ فَوَقَفُوا ، فَرَكِبْتُ فَرَسِى حَتَّى جِئْتُهُمْ ، وَوَقَعَ فِى نَفْسِى حِيــنَ لَقِيتُ مَا لَقِيــتُ مِنَ الحَبْسِ عَــنْهُمْ أنْ سَــيَظْهَرُ أمْــرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ إنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ . وَأَخْبَرْتُهُمْ أخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الزَّادَ وَالْمَتَــاعَ ، فَلَــمْ يَرْزَآنِــى وَلَــمْ يَسْألانِى إلاَّ أنْ قَالَ أخْفِ عَنَّا . فَسَألْتُهُ أنْ يَكْتُبَ لِى كِتَــابَ أمْــنٍ ، فَــأمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ ، فَكَتَبَ فِى رُقْعَةٍ مِنْ أدِيمٍ ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّــهِ ﷺ ... فَأخْبَرَنِى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِىَ الزُّبَيْرَ فِــى رَكْــبٍ مِــنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأمِ ، فَكَسَا الزُّبَيْــرُ رَسُــولَ اللَّــهِ ﷺ وَأبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ ، وَسَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّــهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ ، حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ ، فَانقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أطَالُوا انتِظَارَهُمْ ، فَلَمَّا أوَوْا إلَى بُيُوتِهِمْ ، أوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لأمْرٍ يَنْظُــرُ إلَيْــهِ ، فَبَــصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِىُّ أنْ قَالَ بِأعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِى تَنْتَظِرُونَ . فَثَــارَ المُسْلِمُونَ إلَى السِّلاحِ ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ ، فَعَــدَلَ بِهِــمْ ذَاتَ اليَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِى بَنِى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأوَّلِ ، فَقَامَ أبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَــامِتًا ، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَيِّى أبَا بَكْرٍ ، حَتَّى أصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأقْبَلَ أبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْــهِ بِرِدَائِــهِ ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى بَنِى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِى أُسِّسَ عَلَــى التَّقْــوَى ،

وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِى مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ ، وَهْوَ يُصَلِّى فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ...

وهكذا كان أبو بكر السند بعد الله فى هجرة الرسول ﷺ ، السند المالى والسند الشخصى والأنيس والمعين فى طريق خطر طويل ، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١) .

ومن هنا جاء فى الصحيح :

٤٦٧ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى مَرَضِهِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَىَّ فِى نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِى بَكْرِ ابْنِ أَبِى قُحَافَةَ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا ، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلامِ أَفْضَلُ ، سُدُّوا عَنِّى كُلَّ خَوْخَةٍ فِى هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِى بَكْرٍ » .

وجاء عند الترمذى : « مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا نَفَعَنِى مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِى مَالُ أَبِى بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا أَلاَ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ » .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٤٠ .

وجاء عند الطبرانى : « ما أحد أعظم عندى يدًا من أبى بكر ، واسانى بنفسه وماله ، وأنكحنى ابنته » .

وعند ابن عساكر : « إن أعظم الناس علينا منًا أبو بكر ، زوجنى ابنته ، وواسانى بنفسه ، وإن خير المسلمين مالا أبو بكر ، أعتق منه بلالا، وحملنى إلى دار الهجرة » .

وعند ابن حبان : « قالت عائشة – رضىَ الله عنها : أنفق أبو بكر على النبى ﷺ أربعين ألف درهم » .

وفى رواية : « لما مات ما ترك دينارًا ولا درهمًا » وقد أخذ معه فى الهجرة كل ماله ، وكان خمسة آلاف درهم . ومن هنا جاء عن ابن عمر :

٣٦٥٥ – عن ابنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ : كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِى زَمَنِ النَّبِىِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ عُثْمَانَ ابْنَ عَفَّانَ رضى الله عنهم .

٣٦٦١ – عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ » . فَسَلَّمَ ، وَقَالَ إِنِّى كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَىْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِى فَأَبَى عَلَىَّ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ : « يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ » . ثَلاَثًا ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِى بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا : لاَ . فَأَتَى إِلَى النَّبِىِّ ﷺ ، فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِىِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه ، وَاللَّه أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِى إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ . وَوَاسَانِى بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِى صَاحِبِى » . مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِىَ بَعْدَهَا .

٣٦٦٢ - **عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « عَائِشَةُ » . فَقُلْتُ : مِنَ الرِّجَالِ ؟ فَقَالَ : « أَبُوهَا » . قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « ثُمَّ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ » . فَعدَّ رِجالا .**

وفى هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة أن الركب لما وصل المدينة نزل فى ظل نخلة ، وأكثرهم لا يعرف النبى ﷺ من أبى بكر ، فهو فى مثل سنه ، وأكثرهم لم يكن رآه ، وظن بعضهم أنه هو النبى ، فلما تحرك الظل عن رسول الله ﷺ قام أبو بكر يظله بردائه ، فعرفوا حينئذ أنه النبى ﷺ .

نزل صلى الله عليه وسلم بقباء فى بنى عمرو بن عوف أيامًا بنى فيها مسجده هناك ، ونزل أبو بكر على بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنح ، إحدى ضواحى المدينة بينها وبين بيوت رسول الله ﷺ ميل ، حيث تزوج حبيبة بنت خارجة ، فولدت له أم كلثوم ، مات وهى حامل فيها .

أم رومان وأولاد أبى بكر ﷺ

أم رومان بنت عامر ، ويقال لها بنت أبى فراس ، واسمها زينب ، كانت تحت عبد الله بن الحارث بن سخبرة الأزدى وقدم بها مكة ، فحالف أبا بكر قبل الإسلام ، وتوفى عن أم رومان بعد أن ولدت له الطفيل ، ثم خلف عليها أبو بكر ، فولدت له عبد الرحمن ، وعائشة . أسلمت وبايعت وهاجرت .

قالت عائشة : لما هاجر أبو بكر خلفنا بمكة ، حتى إذا استقر بعث عبد الله بن أريقط ، وكتب إلى عبد الله بن أبى بكر أن يحمل أم رومان وأسماء ، فصادفوا طلحة يريد الهجرة ، فخرجوا جميعًا . توفيت فى حياة

النبى ﷺ سنة ست من الهجرة ، فنزل النبى ﷺ قبرها واستغفر لها، وقال : اللهم لم يَخْفَ عليك ما لقيت أم رومان فيك وفى رسولك ، وقال : من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان .

أما ابنها عبد الرحمن بن أبى بكر فهو أكبر أولاد أبى بكر ، وتأخر إسلامه إلى زمن الهدنة ، شهد موقعة الجمل مع عائشة ، وأخوه محمد مع على . عارض معاوية فى أخذ البيعة لابنه يزيد ، وقال : أهرقلية ؟ كلما مات قيصر كان قيصر مكانه ؟ لا تفعل والله أبدًا ، فأرسل إليه معاوية بمائة ألف فردها ، وقال : لا أبيع دينى بدنياى . وخرج إلى مكة ، فمات بها فجأة قبل أن تتم البيعة ليزيد . مات سنة ثمان وخمسين .

أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها

أمها فيلة ، وقيل : قتيلة بنت عبد العزى بن أسد. أسلمت أسماء قديمًا بعد سبعة عشر نفسًا بمكة ، وكانت تحت الزبير بن العوام ، وهاجرت إلى المدينة وهى حامل بعبد الله بن الزبير ، فوضعته بقباء ، وذهب بصرها فى آخر أيامها ، وتوفيت بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بيسير.

عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما

شقيق أسماء ، وكان له دور فى هجرة الرسول ﷺ وأبيه إلى المدينة ، فكان يأتيهما بأخبار قريش وهو غلام شاب فطن ، فكان يبيت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قريش . أسلم قديمًا ، ومات فى أول خلافة أبيه .

أبو بكر ووباء المدينة

١٨٨٩ - عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ لَمَّا قَدِمَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِى أَهْلِهِ *** وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً *** بِوَادٍ وَحَوْلِى إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ *** وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِى شَامَةٌ وَطَفِيلُ

وقَالَ : اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَف ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى صَاعِنَا ، ومُدِّنَا ، وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ » . قَالَتْ: وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، وَهِىَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ . قَالَتْ : فَكَانَ بُطْحَانُ – وادى بالمدينة معروف – يَجْرِى نَجْلا – أى نزا قليل الماء – تَعْنِى مَاءَ آجِنًا – متغيرًا ، والماء القليل المتغير من أسباب الأوبئة غالبًا .

أبو بكر فى حياة الرسول ﷺ بالمدينة

كان رسول الله ﷺ يضع أبا بكر فى المدينة موضعه اللائق كمستشار له ، أو كوزير ، لا يكاد يقطع فى أمر هام بدون أخذ رأيه ، وكثيرًا ما كان يأخذ بوجهة نظره . فنراه فى فداء أسرى بدر يقول : يا رسول الله . أرى أن نأخذ منهم فدية تكون لنا قوة ، وعسى الله أن يهديهم ، فيقول عمر : أرى أن تمكننا منهم ، فنضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ونفذه .

وكان رسول الله ﷺ يعلن ثقته فى إيمان أبى بكر ليقتدى به الناس

ففى الحديث رقم :

٢٣٢٤ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا ، خُلِقْتُ لِلْحِرَاثَةِ - قالوا : بقرة تتكلم - قَالَ - رسول الله ﷺ - آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - أى آمنت بأن الله قادر على أن يجعلها تتكلم ، وكيف لا وهى لا تتكلم فعلا بما لا نفهمه ، كالطير الذى فهم لغته سليمان عليه السلام ، فكل ما حصل أن الله أفهم راكبها كلامها ، من قبيل قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (١). ويمكن أن تكون تكلمت بلغة الرجل ، كما نطق عيسى فى المهد وغيره ، واختياره صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - ثقة منه فى إيمانهما وكمال تصديقهما بالغيب ما دام قد صدر الخبر منه من الصادق الآمين .

وَأَخَذَ الذِّئْبُ شَاةً فَتَبِعَهَا الرَّاعِى - فخلصها منه - فَقَالَ الذِّئْبُ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ ، يَوْمَ لاَ رَاعِىَ لَهَا غَيْرِى - المراد من السبع الأسد ، والمعنى : أنت الآن تغلبنى وتخلصها منى ، ولكن سيأتى يوم فى آخر الزمان يشتغل الناس عن غنمهم وعن حيواناتهم العشار ، فتنفرد بها السباع ، وأنفرد أنا بالغنم فأكون أنا كالراعى لها . قال الناس : ذئب يتكلم؟ - قَالَ - رسول الله ﷺ - آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » وهما يومئذ فى القوم - أى وهما موجودان يسمعان ويصدقان .

٣٤٧١ -- وبلفظ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : « بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا فَقَالَتْ إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا ، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ » . فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٤٤.

فَقَالَ « فَإِنِّى أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ – وَمَا هُمَا ثَمَّ – وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِى غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ : هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّى فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ ، يَوْمَ لاَ رَاعِىَ لَهَا غَيْرِى » . فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ . قَالَ « فَإِنِّى أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » . وَمَا هُمَا ثَمَّ .

وكان أبو بكر ﷺ عند حسن الظن ، فكان يسابق بالخيرات ، ويطرق كل أبواب الحسنات .

١٨٩٧ – فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ نُودِىَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرٌ . فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا عَلَى مَنْ دُعِىَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ؟ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ . وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » .

٢٨٤١ – وبلفظ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ ، كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ أَىْ فُلُ هَلُمَّ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَاكَ الَّذِى لاَ تَوَى عَلَيْهِ – أى لا خطر عليه ولا خوف عليه – فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « إِنِّى لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » .

٣٢١٦ – وبلفظ ما سبق ، غير أن فيه : « دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ ...».

٣٦٦٦ – وبلفظ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَىْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ ... دُعِىَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ ، وَبَابِ الرَّيَّانِ » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا عَلَى هَذَا الَّذِى

يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ؟ وَقَالَ : هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ » .

وحين قال مسطح ما قال فى الإفك وعن عائشة من سوء ، حلف أبو بكر أن يقطع عنه المساعدة التى كان يتبرع له بها ، فلما نزلت الآية ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١) بادر بإعادة الإعانة ؛ رغبة فى مغفرة الله ، وكفر عن يمينه .

وكان مثالا يحتذى فى الكرم وحسن الخلق والسخاء وحب المعروف حتى منَّ الله عليه بكرامة الأولياء كما فى الحديث :

٦٠٢ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ - وكانت الصفة مكانًا ترتفع أرضه عن أرض المسجد قليلا ، مظللا فى آخر المسجد ، أُعد لنزول الغرباء الذين لا مأوى لهم ولا أهل ، وكانوا يكثرون ، ويقلون ، حول السبعين رجلا ، يزيدون وينقصون ، سرد أسماءهم أبو نعيم فى حلية الأولياء ، فزادوا على المائة ، وكان منهم أبو هريرة .

يقول أبو هريرة : كنا إذا أمسينا حضرنا رسول الله ﷺ ، فيأمر كل رجل من المصلين أن ينصرف برجل أو أكثر من أهل الصفة يضيفه ، فيبقى من يبقى ، عشرة أو أقل أو أكثر ، فيأتى النبى ﷺ بعشائه فنتعشى معه ، فإذا فرغنا قال : ناموا فى المسجد - وَأَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ - يومًا : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ ، أَوْ

(١) سورة النور ، آية : ٢٢.

سَادِسٌ » – وفى رواية : « طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الاثنين يكفى الأربعة ، وطعام الأربعة يكفى الثمانية » – **وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ** – فى ليلة ، وفى مرة من مرات التوزيع – **جَاءَ** – إلى بيته – **بِثَلَاثَةٍ فَانْطَلَقَ النَّبِىُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ** ، **قَالَ** – عبد الرحمن: يعد من فى البيت – **فَهُوَ أَنَا وَأَبِى وَأُمِّى** – أم رومان أم عائشة – **فَلاَ أَدْرِى قَالَ : وَامْرَأَتِى** – **وَخَادِمٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ** – يخدمنى وامرأتى ويخدم أبا بكر وأهله – **وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ** – أى قضى العشية وأمسى – **ثُمَّ لَبِثَ حَيْثُ صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ** ، – ثم جاء بالأضياف الثلاثة إلى بيته ، فقال لعبد الرحمن : دونك أضيافك ، فإنى منطلق إلى النبى ﷺ ، فافرغ من قراهم وعشائهم قبل أن أجيء – **ثُمَّ رَجَعَ** – إلى النبى ﷺ – **فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِىُّ ﷺ** – وقضى العشية – **فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ** – أما الأضياف فيقول عنهم عبد الرحمن – كما فى مسلم – « فلما أمسيت جئنا بقراهم وعشائهم فأبوا ، وقالوا : حتى يجيء أبو منزلنا ، فيطعم معنا . قال : فقلت لهم : إنه رجل حديد – أى شديد – وإن لم تطعموا لنلقين منه شرًا ، فأبوا إلا أن يأتى رب الدار ، فيطعم معهم . وجاء أبو بكر » – **قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : وَمَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ** – **أَوْ قَالَتْ ضَيْفِكَ** – **قَالَ : أَوَمَا عَشَّيْتِيهِمْ ؟ قَالَتْ : أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ** ، **قَدْ عُرِضُوا** – عليهم بعشاء – **فَأَبَوْا** – ورفضوا وأصروا وغلبونا– **قَالَ** – عبد الرحمن – **فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ** – أخشى غضبه ، فنادانى – **فَقَالَ يَا غُنْثَرُ** – يعنى يا ذبابة . يا حقير . يا سفيه . يا جاهل – **فَجَدَّعَ وَسَبَّ** – دعا على بأن يجدع الله أنفى أى يقطعه . قال : وأنا لا أجيب ، فقال : أقسمت عليك عن كنت تسمع صوتى إلا جئت ، قال : فجئت ، فقلت : والله ما لى ذنب . هؤلاء أضيافك فسلهم ، قد أتيتهم بقراهم ، فأبوا أن يطعموا حتى تجيء ، وتحولت غضبة أبى بكر على ابنه

إلى الأضياف ، فجاءهم بالعشاء – **وَقَالَ : كُلُوا لاَ هَنِيئًا – ما لكم لا تقبلوا** منا قراكم ؟ قالوا : حتى تأكل معنا – **فَقَالَ** : لا . آكل معكم – **وَاللَّهِ لاَ أَطْعَمُهُ أَبَدًا** – ولم يأكلوا ، ولم يأكل ، وهدأ غضبه ، وقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . إن الذى أثارنى ودفعنى إلى الحلف أن لا آكل هو الشيطان ، وسأحنث فى يمينى ، وأكفر عنه ، وأفعل الذى هو خير ، ومد يده يأكل ، وقال : كلوا ، فأخذوا يأكلون ، ووضع الله البركة فى الطعام ، يقول عبد الرحمن :– **وَايْمُ اللَّهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلاَّ رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا . قَالَ : يَعْنِى حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ** – القصعة – **أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِىَ كَمَا هِىَ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهَا** – فدهش أبو بكر ، ولم يصدق ما يرى ، وكانت امرأته تأكل معهم – **فَقَالَ لامْرَأَتِهِ** : مندهشًا – **يَا أُخْتَ بَنِى فِرَاسٍ مَا هَذَا** ؟ – الذى أرى – **قَالَتْ : لاَ وَقُرَّةِ عَيْنِى ، لَهِىَ الآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلاَثِ مَرَّاتٍ . فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ – يَعْنِى يَمِينَهُ** – فأصبح – **ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً ، ثُمَّ حَمَلَهَا** – حمل القصعة المباركة – **إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ.**

وكان جيش المسلمين يستعد لغزوة مجتمعًا فى المسجد ، وقد قُسم إلى اثنى عشر قائدًا ، مع كل قائد عددًا من الجند ، لا يعلم عددهم ، فوضعت القصة أمامهم ، يقول أبو بكر : **وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ** – ومهادنة إلى مدة محدودة – **فَمَضَى الأَجَلُ** – وأتممنا لهم عهدهم إلى مدتهم ، فاستعدوا لقتالنا ، فجمعنا جيشنا ، واخترنا النقباء – **فَتَفَرَّقْنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلا ، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ ، اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ ، أَوْ كَمَا قَالَ .**

وهذه كرامة لا أحق بها من أبى بكر ، ولا سبيل إلى الطعن فيها ، فقد شهدها العشرات ، وكيف نستبعدها ونحن نؤمن بأن مريم عليها السلام

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١) .

٣٥٨١ – وبلفظ السابق غير أن فيه : ... قَالَتْ أَبَوْا حَتَّى تَجِىءَ ، قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَغَلَبُوهُمْ ... فَنَظَرَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا شَىْءٌ أَوْ أَكْثَرُ ... فَتَفَرَّقْنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلا ...

٦١٤٠ – وبلفظ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَضَيَّفَ رَهْطًا ... فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عَلَىَّ ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَا صَنَعْتُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ . فَسَكَتُّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ . فَسَكَتُّ ... فَقُلْتُ : سَلْ أَضْيَافَكَ . فَقَالُوا : صَدَقَ أَتَانَا بِهِ . قَالَ : فَإِنَّمَا انْتَظَرْتُمُونِى ، وَاللَّهِ لاَ أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ . فَقَالَ الآخَرُونَ : وَاللَّهِ لاَ نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ . قَالَ : لَمْ أَرَ فِى الشَّرِّ كَاللَّيْلَةِ ، وَيْلَكُمْ مَا أَنْتُمْ ؟ لِمَ لاَ تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمْ ؟ هَاتِ طَعَامَكَ – يا عبد الرحمن – فَجَاءَهُ فَوَضَعَ يَدَهُ فَقَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ ، الأُولَى – أى الغضبة الأولى – لِلشَّيْطَانِ . فَأَكَلَ وَأَكَلُوا .

وهذه قصة أخرى فى تقدير رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر وعثمان ﷺ .

٣٦٧٤ – عن أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ ﷺ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِى بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ ، فَقُلْتُ : لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِى هَذَا . قَالَ : فَجَاءَ الْمَسْجِدَ ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ فَقَالُوا : خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا – أى وتوجه هذه الجهة ، وأشير إلى جهة – فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ – أى البستان المعروف ببئر فيه ، وكانت البساتين تحاط بسور من الجريد مسدد بالطين ، أو مبنى حائط قصير ثم يكمل

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٣٧ .

بالجريد ، ويجعل له باب من الجريد ، يمنع دخول الحيوانات الغريبة ، وكان رسول الله ﷺ قد دخل هذا البستان لقضاء الحاجة ، وفي رواية : « أنه قال لأبي موسى : املك عليّ الباب ، فلا يدخلن عليّ أحد » فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا - أي حائطها القصير المبني حولها ليمنع السقوط فيها ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ ، وَدَلَّاهُمَا فِي الْبِئْرِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ : لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ . فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ . فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ . فَقَالَ : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » . فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ : ادْخُلْ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ . فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ ، كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي ، فَقُلْتُ : إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يُرِيدُ أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ . فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ . فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : هَذَا عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ . فَقَالَ : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » . فَجِئْتُ فَقُلْتُ : ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ . فَدَخَلَ ، فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ ، فَقُلْتُ : إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ . فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ . فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ . فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ » - يشير إلى حصاره في بيته وقتله - فَجِئْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ . فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ ، فَجَلَسَ وُجَاهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ .

قَالَ شَرِيكٌ : قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ – الراوى بعد مقتل عثمان ، ودفنه بالبقيع – فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ – فربط الراوى بين اجتماع الثلاثة فى مكان ، وانفراد عثمان وبين اجتماع قبور الثلاثة فى حجرة عائشة .

٣٦٩٣ – وبلفظ : كُنْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » . فَفَتَحْتُ لَهُ ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِىُّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » . فَفَتَحْتُ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ عُمَرُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِىُّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ ، فَقَالَ لِى : « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ » . فَإِذَا عُثْمَانُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

٣٦٩٥ – بلفظ ما سبق ، غير أن فيه : « ... فَسَكَتَ هُنَيْهَةً » وزاد فى آخره « أن النبى ﷺ كان قاعدًا فى مكان فيه ماء ، قد كشف عن ركبتيه أو ركبته ، فلما دخل عثمان غطاها » قال المحققون : هذه الزيادة ليست من هذا الحديث ، والراوى أدخل حديثًا فى حديث .

٦٢١٦ – بلفظ ما سبق ، غير أن فيه : ... وَفِى يَدِ النَّبِىِّ ﷺ عُودٌ يَضْرِبُ بِهِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ ... ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ : « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ أَوْ تَكُونُ ...

واحتل أبو بكر المكانة الأولى من بين أصحاب النبى ﷺ ، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يجيب على سؤال وجه إليه نيابة عنه فأذن له .

٧٠٤٦ – فعن ابن عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما –أَنَّ رَجُلا أَتَى

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقَالَ : إِنِّى رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِى الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ منْهَا فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ ، وَإِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ منَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخرُ فعَلاَ بِهِ ، ثُمَّ أخذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ بِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصِلَ . فقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِى أَنْتَ وَاللَّهِ لَتَدَعَنِّى فَأَعْبُرَهَا . فقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « اعْبُرْ » . قَالَ : أَمَّا الظُّلَّةُ فَالإِسْلاَمُ ، وَأَمَّا الَّذِى يَنْطِفُ منَ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالْقُرْآنُ حَلاَوَتُهُ تَنْطُفُ ، فَالْمُسْتَكْثِرُ منَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ منَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِى أَنْتَ عَلَيْهِ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ منْ بَعْدكَ فَيَعْلُو بِهِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ ثُمَّ يُوَصَّلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ ، فَأَخْبِرْنِى يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِى أَنْتَ أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ . قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا » . – قيل : أخطأ فى طلب التأويل فى حضرته ﷺ ، وقيل : أخطأ لأن المذكور فى الرؤيا شيئان العسل والسمن ، ففسرهما بشيء واحد ، وكان ينبغى أن يفسرهما بالقرآن والسنة – قَالَ : فَوَاللَّهِ لَتُحَدِّثَنِّى بِالَّذِى أَخْطَأْتُ . قَالَ : « لاَ تُقْسِمْ » .

وقد رشحه صلى الله عليه وسلم ليكون الخليفة من بعده بالإشارة الواضحة ، ولم يشأ أن يعينه ليشرع للأمة حق الترشيح والاختيار ، مع أنه صلى الله عليه وسلم قد فكر فعلا فى تعيينه ، ويبدو أن الوحى أخبره أن القدر قد قضى بان يكون خليفتك أبا بكر ، وسيدفع المسلمون من ينافس أبا بكر ، ويأبى الله إلا أن تكون الخلافة لأبى بكر .

تمثلت هذه الترشيحات فى الحديث رقم :

٥٦٦٦ – وعن عَائشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ : وَارَأْسَاهْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَىٌّ ، فَأَسْتَغْفِرُ لَكِ وَأَدْعُو لَكِ » . –

أى ذلك التوجع الشديد المفضى إلى الموت لو حصل وأنا حى ، فأكفنك ، ثم أصلى عليك ، وأدفنك لكان خيرًا لك - **فَقَالَتْ عَائِشَةُ : وَاثُكْلِيَاهْ ، وَاللَّهِ إِنِّى لأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِى** - الثكل فى الأصل فقد الولد أو من يعز على الفاقد، ثم جرت الكلمة على ألسنتهم فى مطلق التوجع - **وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلَلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ** - أى داخلا بزوجة أخرى - **فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ** - أى دعى ذكر ما تجدين من وجع واشتغلى بى ، فأنا وجع وجعًا أخشى منه ، وقد بدأ مرضه الأخير بالفعل ﷺ - **لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِى بَكْرٍ وَابْنِهِ ، وَأَعْهَدَ** - وفى رواية : « ادعى لى أباك وأخاك » لقد رأيت أن أعهد لأبى بكر بالخلافة وأشهد على ذلك ابنه - **أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ ، ثُمَّ قُلْتُ يَأْبَى اللَّهُ** - أى لئلا يقول أحد أنا أحق من أبى بكر بالخلافة ، ولئلا يتمناها ويتنافس عليها من يطمع فيها فأقطع بالأمر - **وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ ، أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ** » -ولكنى رجعت عن هذا الهم لأن الله يأبى خلافة غير أبى بكر ، وسيدفع المؤمنون من ينافسه ، وسيدفع الله من يقف فى طريق خلافته ، ويأبى المؤمنون إلا خلافته . قال ذلك بطريق الإلهام والوحى .

فكان هذا إعلانًا بمن يعهد إليه الأمر من بعده .

وأصرح من هذا إنابة النبى ﷺ لأبى بكر أن يصلى بالناس لمرضه ، ومن اختاره نائبًا فى الدين وفى إمامته المسلمين كان هو النائب فى أمور الدنيا .

وقد ذهب صلى الله عليه وسلم إلى بنى عمرو بن عوف ليصلح بينهم وقال لبلال : إن حضرت العصر ولم آتك فمر أبا بكر فليصل بالناس ، وكانت قصة الحديث رقم :

٦٨٤ - **عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى**

بَنِى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصلِحَ بَيْنَهُمْ فَحَانَتِ الصَّلاَةُ فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ إِلَى أَبِى بَكْرٍ فَقَالَ : أَتُصَلِّى لِلنَّاسِ فَأُقِيمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِى الصَّلاَةِ ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِى الصَّفِّ ، فَصَفَّقَ النَّاسُ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لاَ يَلْتَفِتُ فِى صَلاَتِهِ - فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ الْتَفَتَ فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِ امْكُثْ مَكَانَكَ ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدَيْهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِى الصَّفِّ ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا كَانَ لاِبْنِ أَبِى قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّىَ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا لِى رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ مَنْ رَابَهُ شَىْءٌ فِى صَلاَتِهِ فَلْيُسَبِّحْ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ الْتُفِتَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ » .

ولما اشتد المرض الأخير برسول الله ﷺ أناب عنه في الصلاة بالناس أبا بكر ، وكانت قصة الحديث رقم :

٦٦٤ - عن عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ : لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِى مَاتَ فِيهِ ، فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَأُذِّنَ ، فَقَالَ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ ، إِذَا قَامَ فِى مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّىَ بِالنَّاسِ ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ : « إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » . فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى ، فَوَجَدَ النَّبِىُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً ، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّى أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الْوَجَعِ ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِىُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ ، ثُمَّ أُتِىَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ . قِيلَ لِلأَعْمَشِ : وَكَانَ النَّبِىُّ ﷺ يُصَلِّى وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّى بِصَلاَتِهِ ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ

بِصَلَاةِ أَبِى بَكْرٍ فَقَالَ : بِرَأْسِهِ نَعَمْ . وَزَادَ أَبُو مُعَاوِيَةَ : جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِى بَكْرٍ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّى قَائِمًا .

وقد رأى رسول الله ﷺ رؤيا كأنها تشير إلى ما سيحدث بعده ﷺ فأخبر بها الناس فقال :

٣٦٣٣ - « رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فِى صَعِيدٍ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ - أى دلوا أو دلوين - وَفِى بَعْضِ نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ ، فَاسْتَحَالَتْ بِيَدِهِ غَرْبًا ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا فِى النَّاسِ يَفْرِى فَرِيَّهُ - أى أخذ عمر يملأ الحوض من البئر ، فلم أر نزع رجل قط أقوى منه - حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ » أى حتى روت الإبل وبركت حول الحوض .

٣٦٧٦ - وبلفظ : « بَيْنَمَا أَنَا عَلَى بِئْرٍ أَنْزِعُ مِنْهَا جَاءَنِى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الدَّلْوَ ، فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِى نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ مِنْ يَدِ أَبِى بَكْرٍ ، فَاسْتَحَالَتْ فِى يَدِهِ غَرْبًا ....

٣٦٨٢ - وبلفظ سبق ، غير أن فيه : « أُرِيتُ فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ ... نَزْعًا ضَعِيفًا ...

فالرؤيا واضحة فى أن أبا بكر ﷺ هو الذى سيتولى أمور الناس بعد رسول الله ﷺ . لكن المدة قصيرة والإسلام فى ضعف ، وسيعقبه عمر والإسلام فى قوة .

وعرف الصحابة ﷺ فضل أبى بكر ، ففضلوه على غيره صراحة . كما هو واضح فى الحديث رقم :

٣٦٥٥ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ : كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ

النَّاسِ فِى زَمَنِ النَّبِىِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ عُثْمَانَ ابْنَ عَفَّانَ ﷺ .

٣٦٧١ – وعَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ : قُلْتُ لأَبِى : أَىُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ . قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ عُمَرُ . وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ : عُثْمَانُ . قُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

كان محمدًا ابن الحنفية كان يعتقد أن أباه بعد عمر – رضى الله عنهما – وخشى أن يقول أبوه : عثمان على سبيل التواضع ، لا على سبيل الاعتقاد ، فيضطرب حال اعتقاده وهو فى سن الحداثة . والمقطوع به عند أهل السنة أفضلية أبى بكر ثم عمر ، ثم اختلفوا فى الذى بعدهما ، والجمهور على تقديم عثمان ﷺ ، وعن مالك التوقف .

٣٦٥٤ – وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ » . قَالَ : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْمُخَيَّرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَىَّ فِى صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا غَيْرَ رَبِّى لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِى الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ ، إِلاَّ بَابَ أَبِى بَكْرٍ » .

كان أصحاب البيوت حول المسجد النبوى قد فتحوا فى بيوتهم أبوابًا أو نوافذ يدخلون المسجد منها بسهولة بدون مشى أو عناء ، فكان فى ذلك إساءة لقدسية المسجد ، فأمروا بسد هذه المنافذ إلا منافذ بيوت الرسول ﷺ وبيت أبى بكر ﷺ فأعطاه ميزة وخصوصية لم يعطها لأحد غيره .

ومن الخصوصيات التى منحها رسول الله ﷺ لأبى بكر غضبه لغضبه ، وخصومته لمن خاصمه ، ودفاعه عنه حتى ضد عمر .

٣٦٦١ - فعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ ، حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ » . - ودخل فى غمرة الخصومة والغضب - فَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إِنِّى كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَىْءٌ - محاورة ومعاتبة - فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ - الظاهر أن فى الكلام تقديم وتأخير ، والأصل: ثم ندمت ، فأسرعت إليه أعتذر - فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِى فَأَبَى عَلَىَّ - فى رواية : « فتحرز منى بداره - فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : « يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ » . ثَلاَثًا ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِى بَكْرٍ ، فَسَأَلَ : أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ ؟ فَقَالُوا : لاَ . فَأَتَى إِلَى النَّبِىِّ ﷺ ، فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِىِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ - يتغير وتذهب نضارته بسبب شدة الغضب ، وفى رواية : « فجلس عمر فأعرض عنه النبى ﷺ ، ثم تحول إلى الجانب الآخر ، فأعرض عنه ، ثم قام فجلس بين يديه ، فأعرض عنه ، فقال : يا رسول الله . ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عنى ، فما خير حياتى وأنت معرض عنى ؟ فقال : أنت الذى اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه ؟ يسألك أخوك أن تغفر له فلا تفعل . فقال : والذى بعثك بالحق . ما من مرة يسألنى إلا وأنا أستغفر له ، وما خلق الله من أحد أحب إلى منه بعدك » حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِى إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ . وَوَاسَانِى بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِى صَاحِبِى » . مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِىَ بَعْدَهَا .

وأبرز هذه الترشيحات تلك الإشارة الواردة فى هذه القصة فى

الحديث رقم :

٣٦٥٩ – عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ : أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِىَّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ . قَالَتْ : أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ . قَالَ ﷺ : « إِنْ لَمْ تَجِدِينِى فَأْتِى أَبَا بَكْرٍ » .

٧٢٢٠ – وبلفظ : ... فَكَلَّمَتْهُ فِى شَىْءٍ ... كَأَنَّهَا تُرِيدُ الْمَوْتَ ...

تلك الترشيحات لم تتوفر لغير أبى بكر ، وتلك المؤهلات لم تجتمع عند غير أبى بكر ، وما كان لأحد بعد هذا أن يحاول المنافسة ، أو يحاول التغلب والاغتصاب .

ولم يتقاعس أبو بكر عندما عزم الأمر ، بل تحمل المسئولية الكاملة ، وكان فى السنح ساعة توفى رسول الله ﷺ ، فجاء وكانت الأحداث التى تصورها الأحاديث :

١٢٤١ – عن عَائِشَةَ – رضى الله عنها – زَوْجَ النَّبِىِّ ﷺ قَالَتْ : أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ – مسكنه فى عوالى المدينة – حَتَّى نَزَلَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ ، حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ ﷺ فَتَيَمَّمَ النَّبِىَّ ﷺ – أى مما اتجه إليه وقصده – وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ : بِأَبِى أَنْتَ وأمى يَا نَبِىَّ اللَّهِ ، لاَ يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِى كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا – قيل : معناه لا تموت موتة أخرى فى القبر كغيرك من الناس ، يحيون للسؤال ، ثم يموتون . وقيل : معناه لا يجمع الله عليك شدة بعد هذا الموت ، وقد تجاوزت شدته .

١٢٤٢ – قَالَ أَبُو سَلَمَةَ – الراوى عن عائشة رضى الله عنها : فَأَخْبَرَنِى ابْنُ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ خَرَجَ وَعُمَرُ ﷺ

يُكلِّمُ النَّاسَ . فقَالَ : اجْلِسْ . فأبَى . فقَالَ : اجْلِسْ . فأبَى ، فتَشهَّدَ أبُو بَكْرٍ ﷺ فمَالَ إلَيْهِ النَّاسُ ، وتَرَكُوا عُمَرَ فقَالَ : أمَّا بعْدُ ، فمَنْ كَانَ منكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فإنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ ، ومَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يمُوتُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (١) واللَّهِ لكأنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أنَّ اللَّهَ أنْزَلَ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أبُو بَكْرٍ ﷺ فتَلَقَّاهَا منْهُ النَّاسُ ، فمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إلاَّ يَتْلُوهَا .

ففى هذا الحديث دخول أبى بكر على رسول الله ﷺ بعد موته ، وكشفه وجهه وتقبيله ، ولا يحتج به على جواز ذلك، فقد يكون خاصًا بالرسول ﷺ على أنه فعل صحابى لم يقر من المشرع فلا حجة فيه .

٣٦٦٧ /٣٦٦٨ - وبلفظ : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وأبُو بَكْرٍ بالسُّنْحِ - قَالَ إسْمَاعِيلُ : يَعْنِى بالعَالِيَةِ - فقَامَ عُمَرُ يَقُولُ : واللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَتْ : وقَالَ عُمَرُ : واللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِى نَفْسِى إلاَّ ذَاكَ ولَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فلَيَقْطَعَنَّ أيْدِىَ رِجَالٍ وأرْجُلَهُمْ . فجَاءَ أبُو بَكْرٍ فكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقَبَّلَهُ قَالَ : بِأبِى أنْتَ وأُمِّى طِبْتَ حَيًّا ومَيِّتًا ، والَّذِى نَفْسِى بيَدِهِ لاَ يُذِيقُكَ اللَّهُ المَوْتَتَيْنِ أبَدًا . ثُمَّ خَرَجَ فقَالَ : أيُّهَا الحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ . فلَمَّا تَكَلَّمَ أبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ ، فحَمِدَ اللَّهَ أبُو بَكْرٍ وأثْنَى عَلَيْهِ وقَالَ : ألاَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فإنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، ومَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حَىٌّ لاَ يَمُوتُ . وقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢)

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٤٤ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٣٠.

وقَالَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ قَالَ فَنَشَجَ النَّاسُ – أى رددوا صوت البكاء فى صدورهم – يَبْكُونَ . قَالَ – وَاجْتَمَعَتِ الأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِى سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ فَقَالُوا : مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ ، فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلاَّ أَنِّى قَدْ هَيَّأْتُ كَلاَمًا قَدْ أَعْجَبَنِى خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ فَقَالَ : فِى كَلاَمِهِ نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ . فَقَالَ : حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ لاَ وَاللَّهِ لاَ نَفْعَلُ ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لاَ ، وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا ، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا ، فَبَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ . فَقَالَ عُمَرُ : بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ – بايعه المهاجرون ، ثم الأوس ، ثم تتابع الناس – فَقَالَ قَائِلٌ : قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ – رئيس الخزرج ، أى كدتم تقتلونه بهذا الخذلان ، فقد أعد نفسه للإمارة – فَقَالَ : عُمَرُ قَتَلَهُ اللَّهُ .

٣٦٦٩ / ٣٦٧٠ – بلفظ : شَخَصَ بَصَرُ النَّبِىِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « فِى الرَّفِيقِ الأَعْلَى » . ثَلاَثًا ... الْحَدِيثَ . قَالَتْ : فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلاَّ نَفَعَ اللَّهُ بِهَا – أى فما كان من موقف أبى بكر وعمر وكلامهما مع الناس إلا نفعًا – لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ وَإِنَّ فِيهِمْ لَنِفَاقًا ، فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ . ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهُدَى وَعَرَّفَهُمُ الْحَقَّ الَّذِى عَلَيْهِمْ وَخَرَجُوا بِهِ يَتْلُونَ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ ﴾ إلى

﴿ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ إِلَى ﴿ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

٤٤٥٢/٤٤٥٣/٤٤٥٤ – وبلفظ لا يغاير الألفاظ السابقة ، غير أن فيه : وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلاَّ يَتْلُوهَا . فَأَخْبَرَنِى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ – أى دهشت ، وتحيرت وسقطت – حَتَّى مَا تُقِلُّنِى رِجْلاَىَ ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَدْ مَاتَ .

٦٨٣٠ – عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ : قال عمر ﷺ ... ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِى أَنَّ قَائِلا مِنْكُمْ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَوْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا . فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِى بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا ، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِى بَكْرٍ ، مَنْ بَايَعَ رَجُلا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِى بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ – أى من فعل ذلك وقع فى الغرور ، وعرض نفسه وصاحبه للقتل –وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ الأَنْصَارَ خَالَفُونَا – أى تجمعوا من خلفنا ولم يجتمعوا معنا فى بيت رسول الله ﷺ – وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِى سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِىٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا – وأقاموا فى بيت فاطمة – وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِى بَكْرٍ فَقُلْتُ لأَبِى بَكْرٍ : يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ . فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ لَقِيَنَا مِنْهُمْ رَجُلاَنِ صَالِحَانِ ، فَذَكَرَا مَا تَمَالَى عَلَيْهِ الْقَوْمُ – أى ما أضمروه واتفقوا عليه ، وهو أن يبايعوا سعد بن عبادة – فَقَالاَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ؟ فَقُلْنَا : نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ . فَقَالاَ : لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَقْرَبُوهُمُ اقْضُوا أَمْرَكُمْ – ويايعوا من شئتم بعيدًا عنهم – فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ . فَانْطَلَقْنَا

حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِى سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ – ملفف بالثياب – بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ . فَقُلْتُ : مَا لَهُ ؟ قَالُوا : يُوعَكُ . فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلا تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكَتِيبَةُ الإِسْلاَمِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ – أى جماعة قليلة – وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ – أى جاء مهاجرًا عدد من قومكم – فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا – ويقطعونا عن الولاية ، وينفردوا بها دوننا – وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ – ويخرجونا منه ويستبدوا به – فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَكُنْتُ زَوَّرْتُ – وجهزت وأعددت – مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِى أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَىْ أَبِى بَكْرٍ ، وَكُنْتُ أُدَارِى مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : عَلَى رِسْلِكَ – انتظر وتمهل يا عمر – فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّى وَأَوْقَرَ ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِى فِى تَزْوِيرِى إِلاَّ قَالَ فِى بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ فَقَالَ : مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلاَّ لِهَذَا الْحَىِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا ، – وقد عرفتم أن العرب لا تجتمع إلا على رجل منهم ، فاتقوا الله ، ولا تصدعوا الإسلام ، ولا تكونوا أول من أحدث فى الإسلام ، وقد قال رسول الله ﷺ « الأئمة من قريش » – وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ . فَأَخَذَ بِيَدِى وَبِيَدِ أَبِى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَهْوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا ، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا ، كَانَ وَاللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِى لاَ يُقَرِّبُنِى ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ ، أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ ، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تُسَوِّلَ إِلَىَّ نَفْسِى عِنْدَ الْمَوْتِ شَيْئًا لاَ أَجِدُهُ الآنَ . فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ – وهو الحباب بن المنذر – أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ – "جذيل" تصغير جذل ، وهو عود ينصب

للإبل الجرباء لتحتك فيه ، و"العذيق" تصغير عذق وهو النخلة ، و"المرجب" المقوى والسند الذى يسند غيره . يريد : أنا سند الأنصار ومقويها ومساعدها ، فلا والله لا نقبل وهو خزرجى ، وكان بين الأوس والخزرج قبل الإسلام ما كان من حروب وبغضاء وعداوات فكان الخزرج لا يحبون أن يكون الحاكم من الأوس ، وقال قائل آخر من الأنصار - **مِنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** - وقال آخر : نختار رجلا من المهاجرين فإذا مات اخترنا رجلا من الأنصار ، كل ذلك وعمر يقول : لا والله لا يخالفنا أحد إلا قتلناه ، والحباب يقول : إن شئتم أعددناها حربًا - **فَكَثُرَ اللَّغَطُ ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ حَتَّى فَرِقْتُ** - حتى خفت وأشفقت - **مِنَ الاخْتِلاَفِ . فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ** - ألست أول من أسلم ؟ ألست ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ؟ ألست نائب الرسول ﷺ فى إمامة الصلاة بأمره فى مرضه ؟ أيرضاك لديننا ولا يرضاك لدنيانا ؟ **فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ ، ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ ، وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ** أى وثبنا عليه ، تلتطم به أرجلنا وهو مقفع على الأرض - **فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ . فَقُلْتُ : قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ .**

قَالَ عُمَرُ : وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِى بَكْرٍ خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلا مِنْهُمْ بَعْدَنَا ، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى ، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِى بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ .

ولما بويع أبو بكر فى السقيفة انحاز بعض بنى الخزرج إلى سعد بن عبادة فلم يبايعوا ، وتخلف عن البيعة على بن أبى طالب والزبير بن العوام

وطلحة بن عبيد الله ، وانحازوا فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر وعمر ، ثم أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ، ثم دفنوه .

ولما كان الغد الثلاثاء جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أيها الناس . إنى وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن وجدتمونى على باطل فسددونى وقومونى . الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه . أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله . وبعد الصلاة تتابع الناس يبايعون .

ثم أصبح أبو بكر غاديًا إلى السوق ، على رأسه أثواب يتجر فيها ، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فقال له عمر : كيف تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالى ؟ فقالوا : نفرض لك ، ففرضوا له كل يوم نصف شاة .

٢٠٧٠ - عن عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ : لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَالَ : لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِى أَنَّ حِرْفَتِى لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِى ، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِى بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ .

فاطمة رضى الله عنها تطلب من أبى بكر ميراثها

٣٠٩٢ - عن عَائِشَةَ أم الْمُؤْمِنِينَ - رضى الله عنها - أَنَّ فَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعْدَ وَفَاةِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا ، مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

٣٧١١ – وبلفظ ما سبق ، وزاد : تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكٍ وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ .

كانت صدقة النبى ﷺ بالمدينة أموالا ليهودى من بقايا قينقاع ، اسمه مخيريق ، نزل ببنى النضير ، وأوصى بأمواله للنبى ﷺ ، يضعها حيث أراه الله – وأما فدك فهى مدينة بينها وبين المدينة نحو أربعين ميلا ، وكان أهلها من اليهود ، فلما فتحت خيبر أرسل أهل فدك إلى النبى ﷺ يطلبون الأمان على أن يتركوا البلد ويرحلوا ، فكانت أموالهم لرسول الله ﷺ ، فأعطى أكثرها للمهاجرين .

٤٠٣٥ – وبلفظ : أَنَّ فَاطِمَةَ – عَلَيْهَا السَّلَامُ – وَالْعَبَّاسَ أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاثَهُمَا ، أَرْضَهُ مِنْ فَدَكٍ ، وَسَهْمَهُ مِنْ خَيْبَرَ .

٦٧٢٥ – وبلفظ سبق ، غير أن فيه : وَهُمَا حِينَئِذٍ يَطْلُبَانِ أَرْضَيْهِمَا مِنْ فَدَكَ ، وَسَهْمَهُمَا مِنْ خَيْبَرَ .

٣٠٩٣ – بلفظ : فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ » . فَغَضِبَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ ، فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . قَالَتْ: وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ وَفَدَكٍ وَصَدَقَتِهِ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، وَقَالَ : لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلاَّ عَمِلْتُ بِهِ ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ . فَأَمَّا صَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ ، وَأَمَّا خَيْبَرُ وَفَدَكٌ فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ ، وَقَالَ : هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتَا لِحُقُوقِهِ الَّتِي تَعْرُوهُ وَنَوَائِبِهِ ، وَأَمْرُهُمَا إِلَى مَنْ وَلِيَ

الأَمْرَ . قَالَ : فَهُمَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ .

٣٧١٢ – وبلفظ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لاَ نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ – يَعْنِي مَالَ اللَّهِ – لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكَلِ » . وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. – فغضبت فاطمة رضى الله عنها حتى ماتت ، وكانت المصالحة بين على وأبى بكر رضى الله عنهما – فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ . وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَقَّهُمْ . فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي .

٤٢٤١ – وبلفظ : ... فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا ، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ فَهَجَرَتْهُ ، فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ ، وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ ، دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيٌّ لَيْلاً ، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا – كان الخليفة يصلى إمامًا على عظماء الموتى وأصحاب الفضل – وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ – وكان له استقبال رضى ومودة من أجل فاطمة ، ولم يكن لرفضه البيعة لأبى بكر تأثير كبير فى نفوسهم – فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ ﷺ وُجُوهَ النَّاسِ – إذ ظهرت كراهيتهم لعدم البيعة على وجوهم عند لقائه – فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ الأَشْهُرَ – أى ولم يكن بايع الأشهر الستة – فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنِ ائْتِنَا ، وَلاَ يَأْتِنَا أَحَدٌ مَعَكَ ، كَرَاهِيَةً لِمَحْضَرِ عُمَرَ – وما عرف عنه من الشدة والمواجهة باللوم – فَقَالَ عُمَرُ : لاَ وَاللَّهِ لاَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا عَسَيْتَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي ؟ وَاللَّهِ لآتِيَنَّهُمْ – وحدى – فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ ،

فتشهد عليٌّ فقال إنا قد عرفنا فضلك ، وما أعطاك الله . ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك ، ولكنك استبددت علينا بالأمر – كان يطمع أن يهتم به عند البيعة ، وأن تطلب بيعته ، وأن يكون لعدم بيعته أثر في نفس أبي بكر وسعى إليه لإرضائه – وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبًا – من الرأى فى البيعة – حتى فاضت عينا أبى بكر ، فلما تكلم أبو بكر قال : والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلىَّ أن أصل من قرابتى ، وأما الذى شجر بينى وبينكم من هذه الأموال ، فلم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته . فقال علىٌّ لأبى بكر : موعدك العشية للبيعة . فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر ، فتشهد وذكر شأن علىٍّ ، وتخلفه عن البيعة ، وعذره بالذى اعتذر إليه ، ثم استغفر ، وتشهد علىٌّ فعظم حق أبى بكر ، وحدث أنه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر ، ولا إنكارًا للذى فضله الله به ، ولكنا نرى لنا فى هذا الأمر نصيبًا ، فاستبد علينا ، فوجدنا فى أنفسنا ، فسر بذلك المسلمون وقالوا : أصبت . وكان المسلمون إلى علىٍّ قريبًا ، حين راجع الأمر المعروف – أى وصار المسلمون قريبين من على راضين عنه بعد مبايعته أبا بكر رضى الله عنهم أجمعين .

أبو بكر ﷺ وحروب الردة

١٣٩٩/١٤٠٠ – عن أبى هريرة ﷺ قال : لما توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر ﷺ وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر ﷺ : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله » ؟ فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن

الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِى عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا . قَالَ عُمَرُ ﷺ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ ﷺ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ .

فى أواخر أيام الرسول ﷺ ارتد ناس من مذحج ، وعلى رأسهم الأسود العنسى الذى استولى على اليمن ، وأخرج عمال رسول الله ﷺ .

كما ارتد ناس من بنى حنيفة وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب ، الذى كتب إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . أما بعد فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك . فأجاب رسول الله ﷺ : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . أما بعد فإن ﴿ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [١].

وتوفى رسول الله ﷺ ، فارتد ناس من بنى تميم ، قوم سجاح التى تنبأت .

وارتد غسان قوم جبلة بن الأيهم ، وفزارة وغطفان وبنو سعد .

كل هؤلاء وكثير غيرهم ارتدوا عن الإسلام ، وأنكروا الشرائع ، وتركوا الصلاة والزكاة وغيرهما من أمور الدين ، وعادوا إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية .

وانكمش المتمسكون بدينهم ، وخافوا بطش المرتدين ، وأخفوا عبادتهم حتى لم يعد أحد يصلى فى بسيط الأرض إلا فى ثلاثة مساجد : مسجد مكة ، ومسجد المدينة ، ومسجد عبد القيس بالبحرين .

وهناك فريق آخر ظلوا مسلمين لكنهم فرقوا بين الصلاة والزكاة

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٢٨ .

وقد قال رسول الله ﷺ : أمرني ربي أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله فقد حقن مني دمه ، وحفظ مني ماله وحسابه فيما وراء ذلك على الله ؟.

فقال له أبو بكر : أرأيت إذا لم يصلوا ؟ فسلم عمر بقتال من امتنع عن الصلاة . وسكت وسكت الناس ، فقال أبو بكر – وقد سكن قلبه إلى الرأى وشرح الله صدره لتنفيذه – قال بصوت الحكيم الحازم : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الصلاة حق النفس ، والزكاة حق المال ، فمن صلى عصم نفسه ، ومن زكى عصم ماله ، ومن لم يصل قوتل على ترك الصلاة ، ومن لم يزك أخذت الزكاة منه قهرًا ، فإن نصب لنا الحرب قاتلناه، والله لو منعوني جديًا أو حبلا كانوا يعطونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه .

ومرة أخرى سكت عمر وسكت الناس ، لكنه في هذه المرة لم يكن سكوت شك أو اضطراب ، بل كان سكوت رضى وإذعان ، حتى عمر نفسه ، لقد شرح الله صدره لخطة أبي بكر ، وبان له بالحجة والبرهان أنها الحق ، ووافق الجميع على القتال ، وجهز أبو بكر جيشًا على رأسه خالد ابن الوليد لقتال مسيلمة وأتباعه ، فنصر الله الإسلام وقتل مسيلمة باليمامة على يد وحشي قاتل حمزة ﷺ .

وقتل العنسي بصنعاء ، وانفضت جموعهم ، وهلك أكثرهم .

ولم يحل الحول إلا وقد عاد الإسلام نشر لوائه على ربوعه ، وتماسك بناؤه ، واستمسك به أبناؤه .

فنضر الله وجه أبي بكر ، وشكر له صالح سعيه ، ورضي الله عن شهداء المسلمين في حروب الردة ، وجزى قادة الإسلام خير الجزاء .

فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ، وأنكروا وجوب أدائها إلى الإمام ، وكان ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأى وقبضوا على أيديهم فى ذلك ، كبنى يربوع ، فإنهم جمعوا صدقاتهم ، وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبى بكر ﷺ فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك ، وفرقها فيهم .

استقبل أبو بكر الصديق ﷺ فى فجر خلافته هذه الصورة المزعجة ، بناء الإسلام الشامخ يتصدع ويتهاوى ، وترتعد جوانبه ، ويتفاقم فى كل يوم صدعه ، ويتسع خرقه ، وترجف الأرض من تحته ، وهو خليفة رسول الله ﷺ المسئول أمام الله عن دينه فى أرضه . فماذا تراه يفعل ؟

إن من أبرز صفات أبى بكر لينه فى خلقه ، ورقة قلبه ، وإرهاف حسه إلى حد اشتهر معه فى المواقف المؤلمة بالبكاء ، وكل هذه الصفات لا تتناسب والظروف المحيطة بالإسلام .

لكن شاءت إرادة الله أن يتحول أبو بكر من اللين إلى الصلابة ، ومن الرقة إلى الشدة ، ومن الإرهاف العاطفى إلى خشونة العقل وصرامة الحكمة ، ففكر وقرر ، لكنه ما كان يمضى إلى ما رأى حتى يعرض الخطة على كبار الصحابة ، عملا بقوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ (١).

فجمعهم ، واستعرض الحالة معهم ، وأعلن لهم أنه يرى قتال كل من غير وبدل ، وأنه يرى العلاج فى الحزم ، والحكم للسيف .

فقال له عمر بن الخطاب : إذا قاتلنا من ارتد وكفر ، ومن ادعى النبوة ومن تابعه فكيف نقاتل من منع الزكاة وهو يشهد أن لا إله إلا الله ،

---

(١) سورة آل عمران – الآية : ١٥٩ .

ويؤخذ من الحديث :

١- شجاعة أبى بكر ﷺ وتقدمه فى العلم إلى غيره .

٢- وجواز مراجعة الأئمة والأكابر للوصول على الحق .

٣- والأدب فى المناظرة ، وترك التصريح بالخطأ ، والعدول إلـــى التلطف والحجة .

٤- وجواز الحلف عل فعل الشيء لتأكيده .

٥- والاجتهاد فى النوازل ، وردها إلى الأصول.

٢- عمر بن الخطاب ﷺ

وكثيرًا ما كان الرسول ﷺ يدعو ربه : اللهم أعز الإسـلام بأحـب الرجلين إليك ، بأبى جهل بن هشام أو عمر بن الخطاب .

روى فى الدلائل أن أبا جهل جعل لمن يقتل محمدًا مائة ناقة . قال عمر : فقلت له : يا أبا الحكم . آلضمان صحيح ؟ قال : نعم . فتقلدت سيفى أريده ، قال : وخرجت أتعرض له ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن ، فقلت : هذا والله شاعر ، كما قالت قريش . قال : فقرأ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [١]. فقلت : كاهن قال : ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٢] حتى ختم السورة ، فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع .

وخرج من بيته يومًا ، وقصد دار أخته ليزداد مناقشة فى الإسـلام ، بل ليسلم وليس ليحارب الإسلام والمسلمين ، وكان فى الدار رسول الله ﷺ وبعض الضعفاء من المسلمين ، فطرق الباب ، وقال : عمر . وأخذ القوم وارتبكوا ، ينظر بعضهم إلى بعض رعبًا .

وقاموا يختبئون فى زوايا البيت ، وقام رسول الله ﷺ ليفتح له الباب بنفسه وما إن رآه حتى أمسك صلى الله عليه وسلم بتلابيبه ، وهزه وقال له : أما آن لك يا ابن الخطاب أن تسلم وتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ فما نطق ، ولكنه استسلم ، فأطلقه ، فدخل على أخته ، وهى تحاول أن

---

(١) سورة الحاقة ، الآيتان : ٤٠ ، ٤١ .

(٢) سورة الحاقة ، آية : ٤٢ .

تخفى عنه ما فى يدها من صحف ، فأراد أن يأخذها منها جبرًا ، فقالت له : حتى تطهر ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1] قال : وكيف أتطهر ؟ فوضأته أخته ، ثم أعطته الصحف ، فقرأ فيها ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [2]. فجلس بين يدى رسول الله ﷺ وتشهد بصوت عالٍ . وسمعه المختبئون فكبروا بصوت مرتفع فى جنبات الدار .

وخرج خباب من مخبئه فقال : أبشر يا عمر ، فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ قد أجيبت ، قال : اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك : عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام أبى جهل .

قال عمر : يا رسول الله . أنحن على الحق ؟ أم على الباطل ؟ قال : نحن على الحق ، وهم على الباطل . قال : علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس أعلنت فيه بالكفر إلا أعلنت فيه بالإيمان .

ثم خرج يكبر متقلدًا سيفه وحوله من كان فى الدار ، ورسول الله ﷺ بين عمر وبين حمزة خرجوا فى صفين . عمر فى أحدهما وحمزة فى الآخر حتى وصلوا إلى الكعبة وصلوا فنظرت قريش إليهم فأصابتهم كآبة

---

(١) سورة الواقعة ، آية : ٧٩ .

(٢) سورة طه ، الآيات : ١- ٨ .

لم يصبهم مثلها .

وعند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ : كان إسلام عمر عزًا ، وهجرته نصرًا وإمامته رحمة ، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر . وكان إسلامه ﷺ فاصلا وفارقًا بين الدعوة السرية والدعوة العلنية .

٣٨٦٣ – وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ .

هذه القوة الإسلامية التي تقمصت المسلمين ، وأخافت المشركين لم تكن عند عمر ، بل كان خائفًا بعد أن أسلم ، ودخل بيته ، إذ تجمعت الغوغاء على بابه تهدده بالقتل .

٣٨٦٤ – فعن زَيْد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ – أي عمر – فِي الدَّارِ خَائِفًا ، إِذْ جَاءَهُ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ أَبُو عَمْرٍو، عَلَيْهِ حُلَّةُ حِبَرَةٍ ، وَقَمِيصٌ مَكْفُوفٌ بِحَرِيرٍ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ ، وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ لَهُ : مَا بَالُكَ ؟ قَالَ : زَعَمَ قَوْمُكَ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونِي إِنْ أَسْلَمْتُ . قَالَ : لاَ سَبِيلَ إِلَيْكَ – ولا قدرة لهم على الوصول إلى إيذائك أو قتلك فأنت في جواري . قال عمر :– بَعْدَ أَنْ قَالَهَا : أَمِنْتُ ، فَخَرَجَ الْعَاصِ ، فَلَقِيَ النَّاسَ قَدْ سَالَ بِهِمُ الْوَادِي ، فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُونَ ؟ فَقَالُوا : نُرِيدُ هَذَا ابْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي صَبَا . قَالَ : لاَ سَبِيلَ إِلَيْهِ . فَكَرَّ النَّاسُ .

ولم يمكث عمر بمكة طويلا بعد إسلامه حتى هاجر إلى المدينة .

ماذا قدم للإسلام ؟

وحقًا ما قال ابن مسعود ﷺ : كان إسلام عمر عزًا ، وهجرته نصرًا ، وإمارته رحمة ، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين

حتى أسلم عمر .

كان فى حياته ذكيا فطنًا نشطًا ، كان – كما وصفوه – إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، كان بعد إسلامه ملهمًا ، يتحدث كثيرًا بالحق ، يلقى على لسانه الصواب .

٣٦٨٩ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، فَإِنْ يَكُ فِى أُمَّتِى أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ » .

لم يبق بمكة طويلا بعد أن أسلم ، بل هاجر إلى المدينة فى عشرين مسلمًا من أهله وعشيرته ، منهم الزبير وطلحة وعثمان وعياش بن ربيعة ونزلوا على بنى عمرو بن عوف بقباء ، ونزل عبد الرحمن بن عوف على سعد بن الربيع وهو خزرجى .

وأكبر أولاده حفصة ، ولدت قبل المبعث بخمس سنين . كانت زوجة لخنيس بن حذافة ، وكان ممن شهد بدرًا ، ومات بالمدينة ، فانقضت عدتها فعرضها عمر على أبى بكر فسكت ، فعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت النبى ﷺ ، فقال : ما أريد أن أتزوج اليوم . وكانت هذه القصة فى الحديث رقم :

٤٠٠٥ – عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِىِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا تُوُفِّىَ بِالْمَدِينَةِ قَالَ عُمَرُ : فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ . قَالَ : سَأَنْظُرُ فِى أَمْرِى . فَلَبِثْتُ لَيَالِىَ ، فَقَالَ : قَدْ بَدَا لِى أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِى هَذَا . قَالَ عُمَرُ : فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ . فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَىَّ شَيْئًا ، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّى عَلَى عُثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لَيَالِىَ ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا

إِيَّاهُ ، فَلَقِيَنِى أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَىَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَىَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِى أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلاَّ أَنِّى قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا ، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِىَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا .

وفى هذا الحديث عرض الإنسان بنته على من يعتقد خيره وصلاحه ، وأنه لا استحياء فى ذلك ، ولو كان المعروض عليه متزوجًا ، لأن أبا بكر كان يومئذ متزوجًا ، وان الأب تخطب إليه بنته الثيب كما تخطب إليه بنته البكر ، ولا تخطب إلى نفسها .

٣٦٧٩ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « رَأَيْتُنِى دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِى طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا بِلاَلٌ . وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : لِعُمَرَ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ » . فَقَالَ عُمَرُ : بِأَبِى وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ .

٥٢٢٦ - وبلفظ ما سبق ، غير أن فيه : « أَتَيْتُ الْجَنَّةَ فَأَبْصَرْتُ قَصْرًا ... فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَلَمْ يَمْنَعْنِى إِلاَّ عِلْمِى بِغَيْرَتِكَ » ...

٣٦٩٤ - وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ .

والأخذ بيد واحد من الحاضرين دليل على فضيلة خاصة له .

٦٦٣٢ - وبلفظ ما سبق ، غير أن فيه : فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِى . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « لاَ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ » . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ نَفْسِى . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « الآنَ يَا عُمَرُ » .

عرفت ما يجب ونطقت بالحق .

٣٦٨٧ – عن زَيْد بْن أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَأَلَنِى ابْنُ عُمَرَ عَنْ بَعْضِ شَأْنِهِ – يَعْنِى عُمَرَ – فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ حِينَ قُبِضَ كَانَ أَجَدَّ وَأَجْوَدَ حَتَّى انْتَهَى مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . أى أكثر جدية وجودًا من أول أمره حتى مات .

٤٠٢ – عَنْ عمر ﷺ قَالَ : وَافَقْتُ رَبِّى فِى ثَلَاثٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [1] وَآيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ . فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِىِّ ﷺ فِى الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ : عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ . فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ .

٤٤٨٣ – وبلفظ : وَافَقْتُ اللَّهَ فِى ثَلَاثٍ – أَوْ وَافَقَنِى رَبِّى ... وَبَلَغَنِى مُعَاتَبَةُ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم بَعْضَ نِسَائِهِ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ قُلْتُ : إِنِ انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ خَيْرًا مِنْكُنَّ . حَتَّى أَتَيْتُ إِحْدَى نِسَائِهِ ، قَالَتْ : يَا عُمَرُ ، أَمَا فِى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ حَتَّى تَعِظَهُنَّ أَنْتَ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ...

٤٩١٦ – وبلفظ : اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِىِّ ﷺ فِى الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ . فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ .

شدة عمر ﷺ فى الحق

تتمثل هذه الشدة فى معاملاته ، فمثال الشدة فى معاملاته النساء

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٢٥ .

الحديث رقم :

٣٢٩٤ - عن سَعْد بن أبي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ : اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ، قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي ، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ » . قَالَ عُمَرُ : فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ . ثُمَّ قَالَ : أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ ، أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْنَ : نَعَمْ ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ » . أي طريقًا غير طريقك .

عمر الغيور ﷺ وموقفه من خروج النساء

الغيرة المعتدلة خلق كريم ، وهى ثورة وهيجان نفسى حين المساس بالعرض ، وكان عمر ﷺ غيورًا كثير الغيرة ، زائدًا فيها على الوسطية ؛ إذ كان لا يكتفى بالغيرة على نسائه ، بل كان يغار أكثر على نساء من يحب ، وها هو بدافع الغيرة يقول :

٤٧٩٠ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ عُمَرُ ﷺ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحِجَابِ .

٤٧٩١ - وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ ، فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ ، وَقَعَدَ

ثَلاثَةُ نَفَرٍ فَجَاءَ النَّبِىُّ ﷺ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا ، فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِىَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا ، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ﴾ (١).

٤٧٩٢ - وعن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِهَذِهِ الآيَةِ آيَةِ الْحِجَابِ ، لَمَّا أُهْدِيَتْ زَيْنَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ مَعَهُ فِى الْبَيْتِ ، صَنَعَ طَعَامًا ، وَدَعَا الْقَوْمَ ، فَقَعَدُوا يَتَحَدَّثُونَ ، فَجَعَلَ النَّبِىُّ ﷺ يَخْرُجُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ ، وَهُمْ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ (٢) .

٤٧٩٣ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : بُنِىَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ بِزَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِىءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، ثُمَّ يَجِىءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو فَقُلْتُ : يَا نَبِىَّ اللَّهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ قَالَ : ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ ، وَبَقِىَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِى الْبَيْتِ ، فَخَرَجَ النَّبِىُّ ﷺ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » . فَقَالَتْ : وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ ؟ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ ، وَيَقُلْنَ لَهُ : كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِىُّ ﷺ فَإِذَا ثَلاثَةُ رَهْطٍ فِى الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ ، وَكَانَ النَّبِىُّ ﷺ شَدِيدَ

---

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٥٣ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٥٣ .

الْحيَاءِ ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَمَا أَدْرِى آخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِـرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا ، فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِى أُسْكُفَّةِ الْبَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ .

٤٧٩٤ - وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : أَوْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَنَى بِزَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا ، ثُـمَّ خَـرَجَ إِلَـى حُجَـرِ أُمَّهَـاتِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ صَبِيحَةَ بِنَائِهِ ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ ، وَيَـدْعُو لَهُـنَّ ، وَيُسَلِّمْنَ عَلَيْهِ ، وَيَدْعُونَ لَهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ رَأَى رَجُلَيْنِ جَرَى بِهِمَا الْحَدِيثُ ، فَلَمَّا رَآهُمَا رَجَعَ عَنْ بَيْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى الـرَّجُلاَنِ نَبِـىَّ اللَّـهِ ﷺ رَجَعَ عَنْ بَيْتِهِ وَثَبَا مُسْرِعَيْنِ ، فَمَا أَدْرِى أَنَا أَخْبَرْتُهُ بِخُرُوجِهِمَا أَمْ أُخْبِـرَ فَرَجَعَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ، وَأَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ .

٦٢٤٠ - وعن عَائِشَةَ - رضى الله عنها - زَوْجَ النَّبِىِّ ﷺ قَالَتْ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : احْجُبْ نِسَاءَكَ . قَالَـتْ : فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَكَانَ أَزْوَاجُ النَّبِىِّ ﷺ يَخْرُجْنَ لَيْلاً إِلَى لَيْـلٍ قِبَـلَ الْمَنَاصِـعِ ، خَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ ، وَكَانَتِ امْـرَأَةً طَوِيلَـةً ، فَرَآهَـا عُمَـرُ بْـنُ الْخَطَّابِ ﷺ ؛ وَهُوَ فِى الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ : عَرَفْتُكِ يَا سَوْدَةُ . حِرْصًا عَلَـى أَنْ يُنْزَلَ الْحِجَابُ . قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ الْحِجَابِ .

ولما نزلت آيـة الحجاب ، ورسمت حدوده أن لا ترى وجوههن ، ولا شيء منهن ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ (١) .

لم يقتنع عمر بهذا الحجاب ؛ لأنه كان يريد حجبهن عـن الخـروج مطلقًا وإن كان فى ذلك مشقة وحرج كبيران ، فطلب من رسول الله ﷺ أن يمنع نساءه من الخروج ، ولكن الرسول ﷺ لم يفعل ، وكانت القصة الآتية:

---

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٥٣ .

٤٧٩٥ - عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ : خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَ مَا ضُرِبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا ، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَسِيمَةً لاَ تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا ، فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : يَا سَوْدَةُ ، أَمَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا ، فَانْظُرِى كَيْفَ تَخْرُجِينَ ؟ قَالَتْ : فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى بَيْتِى ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى . وَفِى يَدِهِ عَرْقٌ فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِى فَقَالَ لِى عُمَرُ : كَذَا وَكَذَا . قَالَتْ : فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ وَإِنَّ الْعَرْقَ فِى يَدِهِ مَا وَضَعَهُ فَقَالَ : « إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ » .

وتزوج عمر ﷺ فى أخريات أيامه عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل ، أخت سعيد بن زيد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، كانت من المهاجرات ، وتزوجت عبد الله بن أبى بكر ، وكانت حسناء جميلة ، فأولع بها عبد الله ، وشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، فطلقها ، وتبعتها نفسه ، ورقّ له أبوه فارتجعها ، ثم أصابه سهم فى حصار الطائف فاستشهد ، ثم تزوجها زيد بن الخطاب فاستشهد باليمامة ، ثم تزوجها عمر ، بعد أن اشترطت عليه أن لا يضربها ، ولا يمنعها من الحق ولا من الصلاة فى المسجد النبوى ، وكانت وقائع الحديث رقم :

٩٠٠ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ : كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِى الْجَمَاعَةِ فِى الْمَسْجِدِ ، فَقِيلَ لَهَا : لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ ؟ قَالَتْ : وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِى ؟ قَالَ : يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ » .

فلما استشهد عمر خطبها الزبير ، فاشترطت عليه ما اشترطت على عمر ، ثم كمن لها فى طريق المسجد ، فلما خرجت لصلاة العشاء ،

ومرت فى الظلام ضربها على عجيزتها ، فرجت وقالت : إنا لله . فسد الناس . فلم تخرج بعد .

٢٤٦٨ – وبلفظ : قال عمر ﷺ : .... **وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ** – نحكمهن ولا يحكمننا – **فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ** – وسيرتهن وطريقة معاملتهن لأزواجهن – **فَصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِى ، فَرَاجَعَتْنِى ، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِى** – فقمت إليها بقضيب ، فضربتتها به ، وفى رواية : « لو رأيتنى وابنة زيد ، وقد تدخلت فى أمر أريده ، فقلت : وما شأنك فى أمر أريده ؟ وصككتها صكة ألصقت خدها بالأرض ....» – **فَقَالَتْ وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِىِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ . فَأَفْزَعَنِى ، فَقُلْتُ : خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ . ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَىَّ ثِيَابِى ، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ : أَىْ حَفْصَةُ ، أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ . فَقُلْتُ : خَابَتْ وَخَسِرَتْ ، أَفَتَأْمَنِينَ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ فَتَهْلِكِينَ لاَ تَسْتَكْثِرِى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلاَ تُرَاجِعِيهِ فِى شَىْءٍ وَلاَ تَهْجُرِيهِ ، وَاسْأَلِينِى مَا بَدَا لَكِ ، وَلاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِىَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** – **يُرِيدُ عَائِشَةَ** – **وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا ، فَنَزَلَ صَاحِبِى يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ عِشَاءً ، فَضَرَبَ بَابِى ضَرْبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : أَنَائِمٌ هُوَ ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ . وَقَالَ : حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ . قُلْتُ : مَا هُوَ أَجَاءَتْ غَسَّانُ ؟ قَالَ : لاَ ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ ، طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ . قَالَ : قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ ، فَجَمَعْتُ عَلَىَّ ثِيَابِى ، فَصَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا ، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ ، فَإِذَا هِىَ تَبْكِى . قُلْتُ : مَا يُبْكِيكِ أَوَلَمْ**

أَكُنْ حَذَّرْتُكِ، أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : لاَ أَدْرِى هُوَ ذَا فِى الْمَشْرُبَةِ . فَخَرَجْتُ ، فَجِئْتُ الْمِنْبَرَ ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِى بَعْضُهُمْ ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلا ثُمَّ غَلَبَنِى مَا أَجِدُ ، فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِى هُوَ فِيهَا فَقُلْتُ لِغُلاَمٍ لَهُ أَسْوَدَ : اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ . فَدَخَلَ ، فَكَلَّمَ النَّبِىَّ ﷺ ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ ، فَصَمَتَ ، فَانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ ، ثُمَّ غَلَبَنِى مَا أَجِدُ فَجِئْتُ ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ ، ثُمَّ غَلَبَنِى مَا أَجِدُ فَجِئْتُ الْغُلاَمَ . فَقُلْتُ : اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ . فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا ، فَإِذَا الْغُلاَمُ يَدْعُونِى قَالَ : أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ ، مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَأَنَا قَائِمٌ طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ ؟ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ : « لاَ » . ثُمَّ قُلْتُ – وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ رَأَيْتَنِى ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَذَكَرَهُ، فَتَبَسَّمَ النَّبِىُّ ﷺ ، ثُمَّ قُلْتُ : لَوْ رَأَيْتَنِى ، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِىَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ – يُرِيدُ عَائِشَةَ – فَتَبَسَّمَ أُخْرَى ، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِى فِى بَيْتِهِ ، فَوَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاَثَةٍ – جلود شياه تذبح – فَقُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا ، وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا . فَقَالَ : « أَوَفِى شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِى . فَاعْتَزَلَ النَّبِىُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ ، وَكَانَ قَدْ قَالَ : « مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا » . مِنْ شِدَّةِ مَوْجَدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ . فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ

وعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا ، وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ، أَعُدُّهَا عَدًّا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ » . وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِى أَوَّلَ امْرَأَةٍ ، فَقَالَ : « إِنِّى ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا ، وَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِى حَتَّى تَسْتَأْمِرِى أَبَوَيْكِ » . قَالَتْ : قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَىَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِى بِفِرَاقِهِ . ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١). قُلْتُ : أَفِى هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَىَّ ؟ فَإِنِّى أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ . ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ ، فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ .

والحديث :

٨٦٤- عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْعَتَمَةِ حَتَّى نَادَاهُ عُمَرُ نَامَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ . فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ غَيْرُكُمْ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ » . وَلاَ يُصَلَّى يَوْمَئِذٍ إِلاَّ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانُوا يُصَلُّونَ الْعَتَمَةَ فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَوَّلِ .

٨٦٥ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ نِسَاؤُكُمْ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأْذَنُوا لَهُنَّ » .

٨٧٣ - بلفظ : « إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَمْنَعْهَا » .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان : ٢٨ - ٢٩ .

وفى الحديث رقم :

٨٩٩ – بلفظ : « ائذَنُوا لِلنِّسَاءِ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ » .

مواقف من شدة عمر ﷺ

ومثال الشدة فى معاملته لأصدقائه تأنيبه وتعنيفه عثمان بن عفان ﷺ فى خطبة الجمعة ، كما يصوره الحديث :

٨٧٨ – **عَنِ ابْنِ عُمَرَ** – رضى الله عنهما – **أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ فِى الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ** – قيل ضابط الأولين : من صلى إلى القبلتين ، والرجل المقصود عثمان ابن عفان ﷺ ، وكان من عادتهم عدم ذكر اسم المقصر سترًا عليه – **مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ فَنَادَاهُ عُمَرُ** – قال له : يا عثمان – **أَيَّةُ سَاعَةٍ هَذِهِ ؟** – أى لماذا تأخرت إلى هذه الساعة ؟ لم تحتبسون عن الصلاة ؟ ما بال رجال يتأخرون بعد النداء ؟ – **قَالَ : إِنِّى شُغِلْتُ فَلَمْ أَنْقَلِبْ إِلَى أَهْلِى حَتَّى سَمِعْتُ التَّأْذِينَ** – أى انقلبت من السوق إلى البيت فور سماعى النداء – **فَلَمْ أَزِدْ أَنْ تَوَضَّأْتُ** – أى لم أشتغل بشيء إلا الوضوء – **فَقَالَ : وَالْوُضُوءُ أَيْضًا وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ** . أى لم يكفك أنك فاتك فضل التبكير إلى الجمعة حتى أضفت إليه ترك الغسل المطلوب ؟ والظاهر أنه سكت اكتفاء بالعذر الأول ، والظاهر أن ذلك كان ذاهلا عن الوقت ، فلما سمع النداء بادر بالوضوء ؛ لأنه تعارض عنده إدراك سماع الخطبة مع الاشتغال بالغسل ، فآثر سماع الخطبة .

والحديث :

٨٨٢ – **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ عُمَرَ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَقَالَ عُمَرُ : لِمَ تَحْتَبِسُونَ عَنِ الصَّلَاةِ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا هُوَ إِلاَّ**

سمعتُ النِّدَاء توضأتُ . فقال : ألمْ تسمَعُوا النبىّ ﷺ قال : « إذا راح أحَدُكُمْ إلى الْجُمُعَة فلْيغتَسلْ » .

فضل الغُسْلِ يوْم الْجُمُعَةِ ، وهلْ على الصّبىّ شُهُودُ يوْم الْجُمُعَة أوْ على النسَاءِ ؟ وهل عليهم غسل الجمعة ؟

غسل الجمعة عند قوم شرع من أجل الرواح إلى المسجد واجتماع الناس ، فهو مطلوب ممن يطلب رواحه ، والصبى والنساء لا يطلب رواحهم وجوبًا ، وعند قوم شرع الغسل مرة على الأقل كل سبعة أيام ، فهو مطلوب على العموم ، ويشتد الطلب لمن يروح إلى المسجد ، يؤيد القول الأول رواية : « إذا أراد الرواح إلى الجمعة فليغتسل » .

وعند أبى عوانة : « من جاء منكم الجمعة فليغتسل » .

وعند ابن حبان : « من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل ، ومن لم يأتها فليس عليه غسل » أى لا يتحتم عليه الغسل يوم الجمعة ، وليغتسل فى أى يوم من الأسبوع .

ولا يشترط اتصال الغسل بالذهاب إلى الجمعة ، بل المهم أن يتقدم على صلاة الجمعة تقدمًا يحقق الهدف منه ؛ وهو الحفاظ على مشاعر الجماعة ، وحمايتهم من التأذى برائحة كريهة ، ولذلك قالوا : إن اغتسل فى الفجر جاز - على القول بأن وقته يبدأ من الفجر - بشرط ألا يزاول بعده عملا محدثًا لرائحة كريهة .

٨٧٧ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ » .

ظاهره ارتباط الغسل بحضور صلاة الجمعة رجلا أو امرأة أو صبيًا.

٨٩٤ - وبلفظ : « مَنْ جَاءَ مِنْكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ » .

٩١٩ – وبلفظ : سمعتُ النبيَّ ﷺ يخطبُ على المنبرِ فقال : « مَنْ جاء إلى الجُمُعة فليغتسلْ » .

وكان لعمر موقف صعب مع أبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما – يصوره هذا الحديث :

٢٠٦٢ – عنْ عُبيدِ بنِ عميرٍ أنَّ أبا مُوسَى الأشعريَّ استأذن على عُمر بن الخطَّاب ﷺ فلمْ يُؤذنْ لهُ ، وكأنَّهُ كان مشغولا فرجع أبو موسى ، ففرغ عُمرُ فقالَ : ألمْ أسمعْ صوتَ عبدِ اللَّه بنِ قيسٍ ؟ ائذنُوا لهُ . قيل : قدْ رجعَ . فدعاهُ . فقالَ : كُنَّا نُؤمرُ بذلكَ . فقالَ : تأتيني على ذلكَ بالبيِّنةِ. فانطلقَ إلى مجلسِ الأنصارِ ، فسألهمْ . فقالُوا : لا يشهدُ لكَ على هذا إلاَّ أصغرُنا أبُو سعيدٍ الخُدريُّ . فذهبَ بأبي سعيدٍ الخُدريِّ . فقالَ عُمرُ : أخفيَ عليَّ منْ أمرِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ ألهاني الصَّفقُ بالأسواقِ . يعني الخُرُوجَ إلى التِّجارةِ .

٦٢٤٥ – وبلفظ عَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ : اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاثًا ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ ، فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ ؟ قُلْتُ : اسْتَأْذَنْتُ ثَلاثًا ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، فَلْيَرْجِعْ » . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ . أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ : وَاللَّهِ لا يَقُومُ مَعَكَ إِلاَّ أَصْغَرُ الْقَوْمِ ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ ، فَقُمْتُ مَعَهُ فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ.

٧٣٥٣ – وبلفظ : اسْتَأْذَنَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمَرَ فَكَأَنَّهُ وَجَدَهُ مَشْغُولا فَرَجَعَ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ؟ ائْذَنُوا لَهُ . فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : إِنَّا كُنَّا نُؤْمَرُ بِهَذَا. قَالَ : فَأْتِنِي عَلَى هَذَا بِبَيِّنَةٍ أَوْ لأَفْعَلَنَّ بِكَ . فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسٍ مِنَ الأَنْصَارِ

فقالوا : لا يشهد إلا أصاغرنا . فقام أبو سعيد الخدرى فقال : قد كنا نؤمر بهذا . فقال عمر ﷺ . خفى على هذا من أمر النبى ﷺ ، ألهانى الصفق بالأسواق .

وقد وصلت شدة عمر وجدته ﷺ أن قال لرسول الله ﷺ ولأبى بكر قولا ثقيلا شديدا عن صلح الحديبية . يقول الحديث رقم :

٢٧٣١ و٢٧٣٢ – قال عمرُ بنُ الخطّاب : فأتيتُ نبيَّ اللّه ﷺ فقلتُ : ألستَ نبيَّ اللّه حقًا ؟ قالَ : « بلى » . قلتُ : ألسنا على الحقِّ وعدوُنا على الباطلِ ؟ قال : « بلى » . قلتُ : فلِمَ نُعطِ الدَّنيّةَ فِى دِيننا إذًا ؟ قال : « إنى رسولُ اللّه ، ولستُ أعصيه وهوَ ناصِرِى » . قُلتُ : أوليسَ كُنتَ تُحدّثُنا أنّا سنأتى البيتَ فنطوفُ به ؟ قالَ : « بلَى ، فأخبرتُكَ أنَّا نأتيه العامَ ؟ » قالَ : قُلتُ : لا . قالَ: « فإنَّكَ آتيه ومُطوِّفٌ بـه » . قَالَ : فأتيتُ أبا بكرٍ فقلتُ : يا أبَا بكرٍ ، أليسَ هذَا نبيَّ اللّه حقًّا ؟ قَالَ : بلَى . قُلتُ : ألسْنَا عَلى الحَقِّ وعدوُنَا علَى البَاطِلِ ؟ قالَ : بلَى . قُلتُ : فلِمَ نُعطِى الدَّنيَّةَ فِى دِيننَا إذًا ؟ قالَ : أيُّها الرَّجُلُ ، إنَّهُ لَرسُولُ اللَّـه ﷺ ولَيسَ يَعْصِى ربَّهُ وهُوَ نَاصِرُهُ ، فاستَمسِكْ بغرْزِهِ ، فوَاللّه إنَّهُ علَى الحَقِّ . قُلتُ : أليسَ كانَ يُحدِّثُنا أنَّا سنَأتِى البَيْتَ ونَطوفُ بـه ؟ قَـالَ : بلَـى، أفأخبرَكَ أنَّكَ تأتِيه العامَ ؟ قُلتُ : لاَ . قَالَ : فإنَّكَ آتيه ومُطَّوِّفٌ بِهِ ...

وها هو يعترض على عطية أعطاها له رسول الله ﷺ ، ويشترى لرسول الله ﷺ لباسًا لا يحبه ولا يناسب مقامه .

٨٨٦ – عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أنَّ عُمَرَ بْـنَ الخَطَّاب رَأى حُلَّةَ سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ فقَالَ : يَا رَسُولَ اللّـه ، لَـو اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الجُمُعَـةِ ولِلْوَفْـدِ إذَا قَـدِمُوا عَلَيْـكَ . فقَـالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : « إنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لاَ خَلاقَ لَهُ فِـى الآخِـرَةِ » . ثُـمَّ

جاءتْ رسُولَ اللّهِ ﷺ منها حُلَلٌ . فأعطى عُمرَ بنَ الخطَّابِ ﷺ منها حُلَّةً فقَالَ عُمرُ : يا رسُولَ اللّه ، كسوتَنيها وقدْ قُلتَ في حُلّةِ عُطارِدٍ ما قُلتَ ؟ قالَ رسُولُ اللّه ﷺ : « إنّي لمْ أكسُكها لتلبسها » . فكَساها عُمرُ بنُ الخطّابِ ﷺ أخًا لهُ بمكّةَ مشركًا .

٩٤٨ – وبلفظ : أخذَ عُمرُ ﷺ جُبَّةً منْ إستَبْرَقٍ تُبَاعُ في السُّوقِ ، فأخذها فأتى رسُولَ اللّهِ ﷺ فقَالَ : يَا رَسُولَ اللّه ابْتَعْ هَذه تَجمَّلْ بهَا للْعيد والوُفُود . فقَالَ لهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ « إنَّمَا هَذه لبَاسُ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَـهُ » . فلبث عُمرُ ما شاءَ اللّهُ أنْ يَلْبَثَ ، ثُمَّ أرسَلَ إليْه رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ بجُبَّةِ ديباجٍ ، فأقبَلَ بهَا عُمرُ ، فأتَى بهَا رَسُولَ اللّه ﷺ فقَالَ يَا رَسُولَ اللّه إنَّكَ قُلْتَ : « إنَّمَا هَذه لبَاسُ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ » . وَأَرْسَلْتَ إلَيَّ بِهَذِهِ الْجُبَّةِ فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَبيعُهَا أَوْ تُصيبُ بهَا حَاجَتَكَ » .

٢١٠٤ – وبلفظ : أَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ إِلَى عُمَرَ ﷺ بحُلَّةِ حَرِيرٍ – أَوْ سيرَاءَ – فَرَآهَا عَلَيْه ، فقَالَ : « إِنِّى لَمْ أُرْسلْ بهَا إِلَيْكَ لتَلْبَسَهَا ، إنَّمَا يَلْبَسُهَا مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ ، إنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لتَسْتَمْتعَ بهَا » . يَعْنى تَبيعُهَا .

٢٦١٩ – وبلفظ : قَالَ رَأَى عُمَرُ حُلَّةً عَلَى رَجُلٍ تُبَاعُ فَقَالَ للنَّبىِّ ﷺ ابْتَعْ هَذه الْحُلَّةَ ، تَلْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَة وَإِذَا جَاءَكَ الْوَفْدُ . فَقَالَ : « إنَّمَا يَلْبَسُ هَذَا مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِى الآخِرَة » . فَأُتِىَ رَسُولُ اللَّه ﷺ منْهَا بحُلَلٍ فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ منْهَا بحُلَّة . فقَالَ عُمَرُ : كَيْفَ أَلْبَسُهَا ، وَقَدْ قُلْتَ فيهَا مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : « إِنِّى لَمْ أَكْسُكَهَا لتَلْبَسَهَا ، تَبيعُهَا أَوْ تَكْسُوهَا » . فَأَرْسَلَ بهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ منْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلمَ .

٥٨٤١ – وبلفظ لا يغاير ما سبق ، غير أن فيه : « أَوْ تَكْسُوَهَا » نساءك .

عمر ﷺ يرفض عطية السلطان

١٤٧٣ - عن ابن عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ : سَمِعتُ عُمَرَ يقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعطِينِى الْعَطَاءَ فَأقُولُ : أعطه مَنْ هُوَ أفقَرُ إليه مِنِّى فقَالَ : « خُذْهُ ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هذَا الْمَالِ شَىْءٌ ، وَأَنْتَ غيْرُ مُشْرِفٍ - متطلع له حريص عليه - وَلاَ سَائِلٍ ، فَخُذْهُ - وفى رواية « خذه فتحمله - أى تملكه - وتصدق به » - وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفسَكَ » .

الحديث يثير مسألة عطية السلطان ، وهذا يصدق على السلطان الجائر ، أما من علم أن مال السلطان حلال فلا ترد عطيته ، ومن علم أن ماله حرام حرم قبول عطيته ، ومن شك فالورع والاحتياط عدم قبولها ، ورخص بعضهم بقبول عطية السلطان مطلقًا ، ولو كان ماله حرامًا فهو المسئول من أين اكتسب .

٧١٦٣ - عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّعْدِىِّ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فِى خِلاَفَتِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِى مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالاً ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعُمَالَةَ كَرِهْتَهَا . فَقُلْتُ : بَلَى . فَقَالَ عُمَرُ : مَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : إِنَّ لِى أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا ، وَأَنَا بِخَيْرٍ ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِى صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ . قَالَ عُمَرُ : لاَ تَفْعَلْ فَإِنِّى كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِى أَرَدْتَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِى الْعَطَاءَ ، فَأَقُولُ : أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّى . حَتَّى أَعْطَانِى مَرَّةً مَالاً فَقُلْتُ : أعطِهِ أفقَرَ إِلَيْهِ مِنِّى . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ ، وَإِلاَّ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ » .

٨٦٦ - عن أُمّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ ﷺ أَخْبَرَتْهَا أَنَّ النِّسَاءَ فِى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ قُمْنَ ، وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وَمنْ صلَّى مِن الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فإذا قامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ الرِّجَالُ .

الظاهر أن انتظار الناس لم يكن انتظارًا لقيام الإمام ، حتى يمضى ، بل هو انتظار لوضع خاص ، وهو انصراف النساء

٨٦٧ - وعنْ عائشةَ قالتْ : إنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ليُصلِّى الصُّبْحَ ، فيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ مُتلَفِّعاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ ، مَا يُعْرَفْنَ من الغَلَس .

٨٦٩ - وعنْ عائشةَ - رضى الله عنها - قالتْ : لوْ أدرك رسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ كمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِى إسْرَائِيلَ . قُلْتُ لِعَمْرَةَ : أوَ مُنِعْنَ ؟ قالتْ : نَعَمْ .

٨٧٠- وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ- رضى الله عنها- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِى تَسْلِيمَهُ ، وَيَمْكُثُ هُوَ فِى مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ . قَالَ نَرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَىْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ .

٣٧٢ - وعن عَائِشَةَ قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصلِّى الفَجْرَ ، فَيَشْهَدُ مَعَهُ نِسَاءٌ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ مُتَلَفِّعَاتٍ فِى مُرُوطِهِنَّ ثُمَّ يَرْجِعْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ مَا يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ .

٨٧٢ - وبلفظ: كَانَ يُصَلِّى الصُّبْحَ بِغَلَسٍ فَيَنْصَرِفْنَ نِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، لاَ يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَلَسِ ، أَوْ لاَ يَعْرِفُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا .

عبد الله بن عمر وأولاده

تقول الأحاديث التى رواها مسلم :

* عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لاَ تَمْنَعُوا النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِاللَّيْلِ » . فَقَالَ ابْنٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : لاَ نَدَعُهُنَّ

يخرجن فيتخذنه دغلا . قال : فزبره ابن عمر ، وقال : أقول : قال رسول الله ﷺ وتقول : لا ندعهن .

* وعن بلال بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا استأذنوكم » فقال بلال : والله لنمنعهن . فقال له عبد الله : أقول قال رسول الله ﷺ وتقول أنت لنمنعهن .

* وعن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة زوج النبى ﷺ تقول : لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل . قال : فقلت : لعمرة أنساء بنى إسرائيل منعن المسجد قالت : نعم .

الخلاصة :

كانت المرأة قبل الإسلام قعيدة البيت ، حبيسة الجدران ، إلا ما كان من النساء الممتهنات القائمات بالخدمات وإلا ما كان من الإماء والجوارى.

ولم يكن يؤذن بالخروج إلا فى حالات الضرورة القصوى ، وقد لا يؤذن لها فيها ، وجاء الإسلام فكرم المرأة ورفع من شأنها ، ومنحها حرية الإنسان فى عقيدته وحرية الإنسان فى التحرك فى إبداء رأيه ، وحرية الإنسان فى الدفاع عن حقه ، وحرية الإنسان فى التحرك إلى ما هو مشروع .

لقد آمن النساء برسول الله ﷺ كما آمن الرجال ، وبايعهن الرسول ﷺ كما بايع الرجال ، وحضرن مجالس العلم فى مسجد رسول الله ﷺ كما يحضر الرجال ، وأذن لهن فى صلاة الجماعة فى المسجد مع الرجال .

صورة من الحرية لم يعهدها الزمان ولم تعهدها الجزيرة العربية ،

كانت نتيجتها صراعًا نفسيًا بين ما ألفه الرجال وما اعتادوا من حكم النساء والتحكم فيهن ، وبين بروغ شمس الحرية للنساء وما أعطينه من حقوق .

وتغلبت الأنفة العربية على بعض النفوس ، وتحركت غرائز السيطرة عند بعض الأزواج فمنعوا نساءهم من الخروج إلى المسجد ، واستأذن النساء فلم يؤذن لهن ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ رسول الحرية وبشير النور والسلام ، فقال لأصحابه ﷺ : لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا رغبن فيها واستأذنوكم إليها . إذا استأذنت المرأة زوجها إلى المسجد ليلا فلا يمنعها . ائذنوا للنساء بالخروج إلى المساجد .

وأحس صلى الله عليه وسلم ما يختلج فى صدور أصحابه من خوف الفتنة ، وخشى انفلات زمام المرأة وتعرضها للريبة ، فوضعت الشريعة القيود التى تضمن الأمان والسلامة لهذا الانفتاح .

وأمرت النساء بالخروج فى الظلام ، متلفعات بثيابهن ، غير متطيبات ، ولا متزينات « إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تطيب تلك الليلة » إذا شهدت أحداكن المسجد فلا تمس طيبًا « أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » .

والتزام المرأة حافة الطريق فى ذهابها وإيابها ولا تتوسطه ؛ لئلا تختلط بالرجال ، إذا سلم النساء من صلاة الفجر فليسرعن بالخروج من المسجد متلفعات بثيابهن إلى بيوتهن فى الغلس والظلمة قبل أن يظهر ضوء النهار فيعرفن ، وليمكث الرجال بعد السلام حتى ينصرف النساء وليصطف النساء فى آخر المسجد خلف الرجال ، ولا يرفعن أصواتهن حتى فى الصلاة الجهرية ، وإذا نابهن شيء فى الصلاة صفقن ولا يسبحن، ولا تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها .

واستجاب الصحابة لهذا التشريع بشيء من المشقة على نفوسهم ،

وكانوا يتمنون فى قرارة أنفسهم أن لا تستأذنهم نساؤهم ، ولكن هيهات ما كاد النساء يصدقن أن ينفتح باب السجن حتى تدفقن ، وما كدن يشعرن بانحسار سيف القهر والإذلال حتى هرولن .

والمرأة هى المرأة بطبيعتها وأنوثتها ، لم تكد تفتر فيها جذوة التدين حتى برزت طلائع غريزتها ، ولم يكد يخبو فيها نور الشريعة حتى ظهرت حرارة عواطفها .

لم يمض ربع قرن حتى تطيبت عند خروجها ، ولبست أحسن ثيابها وحليها ، وبدت فى أبهى زينتها ، وتحركت غيرة الرجال على نسائهم ، وبدءوا يمنعون نساءهم ، ورأى عبد الله بن عمر هذه الرغبة فى بنيه ، فذكرهم بحديث رسول الله ﷺ : « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها » ، « لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل » .

قال أحدهم : أما أنا فسأمنع نسائى ، فمن شاء أن يسرح نساءه فليفعل . وقال الآخر : والله لنمنعهن ، والله لا ندعهن يخرجن فيتخذن الخروج وسيلة للفساد ، ويتسترن وراءه بالخداع . فقام عبد الله ينهر ولديه يضرب أحدهما فى صدره ويقول : أف لك . فعل الله بك كذا وكذا ، ويسب الآخر غاضبًا ، ويقول لهما : أقول لكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولان : لا . والله لا أكلمكما حتى تتوبا .

ولم تكن الغيرة على هذا الخلل مقصورة على الرجال ، بل شملت الحريصات على شعائر الإسلام من النساء ، فتلك عائشة – رضى الله عنها – وقد رأت ما وصل إليه الأمر من التطيب للخروج والتزين والاختلاط ، تقول : لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء بعده من عدم الالتزام بتعاليمه لمنعهن الخروج إلى المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل من الخروج إلى المساجد حين استشرفن للرجال ، وبرزن لهم ، وأثرن فيهم

نوازع الفسوق والعصيان .

قال النووى : هذه الأحاديث ظاهرة فى أنها لا تمنع المسجد بشروط مأخوذة من الأحاديث ، وهى :

ألا تكون متطيبة ، ولا متزينة ، ولا ذات خلاخل يسمع صوتها ، ولا بثياب فاخرة ، ولا مختلطة بالرجال ، وأن لا يخاف منها على الرجال، وأن لا يكون هناك من يخاف عليها منه – أى أن تكون آمنة مأمونة .

واشترط بعض العلماء أن يكون خروجها بالليل فقط وللمسجد فقط ، حيث نصت على ذلك الأحاديث السابقة ، ومعنى هذا أنه يكره للزوج أن يمنع زوجته من الخروج ليلا للصلاة فى المسجد ، إذا استوفت الشروط المذكورة ، ولا يحرم عليه منعها حتى مع استيفاء هذه الشروط ، لأن وقت الخروج حق له ، وله أن يمنعها بدون كراهة إذا ظن اختلال شرط مما ذكر ، فإن تحقق من اختلال شرط وجب عليه منعها .

هذا ما يتفق مع مذهب الشافعية ، أما الحنفية فقالوا : يحرم خروجهن، ويقصرون الحديث رقم ٨٦٥ على العجائز ، وأما المالكية فيفرقون بين الشابة وغير الشابة ، فيمنعون الشابة ، ويجيزون غير الشابة. صفحة ١٤٥٨

وقاس بعض العلماء خروج النهار على خروج الليل على أساس أن الليل أشد خطرًا ، فالإذن بالنهار أولى ، وقاسوا غير المسجد من المباحات على المسجد ، لأن المفروض أن صلاتها فى بيتها أولى ، وصلاتها فى المسجد خلاف الأولى ، فإذا أذن لها فى خلاف الأولى أذن لها فى المباح وفيما هو أولى من قضاء المصالح ونحوها .

هذا عن واجب الزوج وولى الأمر ، أما المرأة نفسها فينبغى أن يكون حرصها على صيانة سمعتها فوق حرصها على حقها فى المساجد ،

وتتعلم أن شهودها الجماعة فى المساجد لا يزيدها ثوابًا عن صلاة الجماعة فى منزلها مع زوجها أو أولادها . فعن أبى داود : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » .

وهكذا أعطاها الإسلام حق الخروج تكريمًا لها ، وأرشدها إلى أنه خلاف الأولى لها ، لتكون ممتنعة لا ممنوعة .

وكان لعمر موقف شديد مع هشام

٢٤١٩ – فعَنْ عُمَرَ بن الخَطَّاب ﷺ قال : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيم ابن حزَام يقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَان عَلَى غيْرِ ما أقرؤها ، وكَانَ رسُولُ اللَّه ﷺ أقْرَأنيها ، وكِدتُ أنْ أعْجَلَ عليْه ، ثمَّ أمْهَلْتُهُ حتَّى انْصرَفَ ، ثُمَّ لبَّبْتُهُ بِردَائه فَجِئْتُ به رسُولَ اللَّه ﷺ فقُلْتُ : إنِّى سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غيْرِ مَا أَقْرَأْتَنيهَا ، فقَالَ لِى : « أرْسِلْهُ » . ثُمَّ قَالَ لَهُ : « اقْرَأْ » . فقَرَأَ . قَالَ : « هَكَذَا أُنْزِلَتْ » . ثُمَّ قَالَ لِى : « اقْرَأْ » . فقَرَأْتُ فقَالَ : « هَكَذَا أُنزِلَتْ . إنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَة أحْرُف فاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ » .

٤٩٩٢ – وبلفظ : يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِى حَيَاةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لقرَاءَته ، فَإذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوف كَثيرَة لَمْ يُقْرئْنيهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ فَكِدتُ أسَاوِرُهُ فِى الصَّلاَة ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ ، فَلَبَّبْتُهُ بردَائه ، فَقُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ هَذه السُّورَةَ الَّتِى سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ . قَالَ : أَقْرَأَنيهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ . فَقُلْتُ : كَذَبْتَ فَإنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَدْ أَقْرَأَنيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ ، فَانْطَلَقْتُ بِه أَقُودُهُ إلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقُلْتُ : إنِّى سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوف لَمْ تُقْرِئْنيهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « أَرْسِلْهُ اقْرَأْ يَا هِشَامُ » . فَقَرَأَ عَلَيْه الْقِرَاءَةَ الَّتِى سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « كَذَلكَ أُنْزِلَتْ » . ثُمَّ قَالَ : « اقْرَأْ يَا عُمَرُ » . فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِى أَقْرَأَنِى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « كَذَلكَ أُنْزِلَتْ ، إنَّ هَذَا

الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » .

قيل : كانت قراءة هشام ﴿ وجعلنا فيها سرجا وقمرا منيرا ﴾ وكانت قراءة عمر ﴿ سراجا ﴾ والظاهر أن قراءة هشام كانت مقبلات لم يحفظها عمر . ولم يعرفها له رسول الله ﷺ ، إذ من كان يتلقى آخرا قد يتلقى زيادة أنزلت بعد أن تلقى السابق .

٥٠٤١ – وبلفظ ما سبق غير أن فيه : ... فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى سَلَّمَ ... فوالله إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَهُوَ أَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ ...

أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يتجاذبان المناقشة

٤٣٦٧– عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ – رضى الله عنهما – أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَمِّرِ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ . قَالَ عُمَرُ : بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا أَرَدْتَ إِلاَّ خِلاَفِي . قَالَ عُمَرُ : مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ . فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (1) حَتَّى انْقَضَتْ.

٤٨٤٥– وعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا – أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ – رضى الله عنهما – رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ – قَالَ نَافِعٌ لاَ أَحْفَظُ اسْمَهُ – فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ : مَا أَرَدْتَ إِلاَّ خِلاَفِي ... فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

(١) سورة الحجرات ، آية : ١ .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (١) الآيَـــة . قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ – مبالغة فى عدم رفع الصوت – وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ ، يَعْنِى أَبَا بَكْرٍ . فأبو بكر ﷺ أب لأمه أسماء – رضى الله عنها – وعدم ذكره لموقف أبى بكر من الآية لا يدل على عدم الاستجابة .

٧٣٠٢ – وبلفظ ما سبق غير أن فيه : فَكَانَ عُمَـرُ بَعْـدُ إِذَا حَـدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِى السِّرَارِ – أى كصاحب السر إذا حدث صديقه – لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ .

وكان لعمر موقف شديد مع من يخالفه

٦٨٣٠ – فعَنِ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ : كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِى مَنْزِلِهِ بِمِنًى ، وَهْوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِى آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا – عمـر ، وكان قد شاع فى موسم الحج قول رجل : لو قد مات عمر بايعت طلحة بن عبيد الله ، كما شاع فى الموسم أن الزانى المحصن يجلد ولا يـرجم ، وأن الرجم ليس فى القرآن ، فأراد عمر بن الخطاب ﷺ أن يخطب فى النـاس بخصوص هذيـن الأمريـن وغيرهما من مصالح المـسلمين ، فنـصحه عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن لا يفعل – .. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ : يَـا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . لاَ تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَـاءَهُمْ – المسارعين إلى الشر والتأويل ، فربما حملوا خطابه محملا سيئًا ، وأنـى أرى أن تمهل – حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالـسُّنَّةِ ، فَـتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ – وذوى رأيهم ... فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا وَاللَّـهِ إِنْ

---

(١) سورة الحجرات ، آية : ٢ .

شاء اللَّهُ لأقُومنَّ بِذلِكَ أوَّلَ مقَامِ أقُومُهُ بالمدِينَة . وفعلا لما وصل المدينة خطب خطبة طويلة فى هذين الأمرين وغيرهما .

٦٨٢٩ – وعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ : قَالَ عُمَرُ : لَقَدْ خَشِيتُ أنْ يطُولَ بالنَّاسِ زمانٌ حتَّى يقُولَ قَائلٌ لا نجدُ الرَّجْمَ فى كِتَابِ اللَّهِ . فيَضِلُّوا بترْكِ فَرِيضَةٍ أنزلَهَا اللَّهُ ، ألا وإنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ علَى مَنْ زَنَى ، وَقَدْ أحصَنَ ، إذا قَامتِ البَيِّنَةُ ، أوْ كَانَ الحَمْلُ أوْ الاعْتِرَافُ . وفى رواية : وَقَدْ رجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ورَجَمْنَا بَعْدَهُ .

٦٨٣٠ – وبلفظ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَبَيْنَمَا أنَا فِى مَنْزِلِهِ بِمِنًى ، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِى آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا ، إذْ رَجَعَ إِلَىَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ : لَوْ رَأَيْتَ رَجُلا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِى فُلانٍ يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلانًا ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِى بَكْرٍ إِلاَّ فَلْتَةً ، فَتَمَّتْ . فَغَضِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ إِنِّى إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِى النَّاسِ ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِى النَّاسِ ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ وَأَنْ لاَ يَعُوهَا ، وَأَنْ لاَ يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا ، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا ، فَيَعِى أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا . فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِى عَقِبِ ذِى الْحَجَّةِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ عَجَّلْنَا الرَّوَاحَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ ، حَتَّى أَجِدَ سَعِيدَ

ابن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر ، فجلست حوله تمس ركبتى ركبته ، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف ، فأنكر علىّ وقال ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله ؟ فجلس عمرُ على المنبر ، فلمَّا سكتَ المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله قال : أمَّا بعدُ فإنى قائلٌ لكمْ مقالةً قدْ قُدر لى أن أقولها ، لا أدرى لعلها بين يدىْ أجلى ، فمنْ عقلها ووعاها فليحدثْ بها حيثُ انتهتْ به راحلتهُ ، ومنْ خشىَ أنْ لا يعقلها فلا أحلُ لأحد أنْ يكذب علىَّ ، إنّ اللّه بعث مُحمدًا ﷺ بالحقِّ وأنزلَ عليْه الكتابَ فكان ممَّا أنزل اللّهُ آيةُ الرَّجْم ، فقرأناها وعقلْناها ووعيْناها ، رجمَ رسولُ اللّه ﷺ ورجمْنا بعْدهُ ، فأخشى إنْ طالَ بالنَّاسِ زمانٌ أنْ يقُولَ قائلٌ واللّهِ ما نجدُ آيةَ الرَّجْمِ فى كتابِ اللّه فيضلُّوا بترْكِ فريضةٍ أنزلها اللّهُ ، والرَّجْمُ فى كتابِ اللّه حقٌّ علَى منْ زنَى إذَا أُحصنَ منَ الرِّجالِ والنِّساء ، إذَا قامت البيِّنةُ أوْ كانَ الحبَلُ أوْ الاعْترافُ ، ثُمَّ إنَّا كُنَّا نقرأُ فيمَا نقرأُ منْ كتابِ اللّه أنْ لا ترْغبُوا عنْ آبائكمْ ، فإنَّهُ كُفرٌ بكُمْ أنْ ترْغبُوا عنْ آبائكمْ ، أوْ إنَّ كُفْرًا بكُمْ أنْ ترْغبُوا عنْ آبائكُمْ ، ألاَ ثُمَّ إنَّ رسُولَ اللّه ﷺ قالَ : « لاَ تُطْرُونِى كمَا أُطْرِىَ عيسَى ابْنُ مرْيمَ وقُولُوا عبْدُ اللّه ورسُولُهُ » . ثُمَّ إنَّهُ بلغنى أنَّ قائلا منْكُمْ يقُولُ : واللّه لوْ ماتَ عُمرُ بايعْتُ فُلانًا . فلاَ يغْترَّنَّ امْرُؤٌ أنْ يقُولَ إنَّمَا كانتْ بيْعةُ أبِى بكْرٍ فلْتةً وتمَّتْ ألاَ وإنَّها قدْ كانتْ كذلكَ ولكنَّ اللّهَ وقَى شرَّهَا ، وليْسَ منْكُمْ منْ تُقْطعُ الأعْناقُ إليْهِ مثْلُ أبِى بكْرٍ ، منْ بايعَ رجُلا عنْ غيْرِ مشُورةٍ منَ المُسْلمينَ فلاَ يُبايعُ هُوَ ولاَ الَّذى بايعهُ تغرَّةً أنْ يُقْتلا وإنَّهُ قدْ كانَ منْ خبرِنا حينَ توفَّى اللّهُ نبيَّهُ ﷺ إلاَّ أنَّ الأنْصارَ خالفُونا واجْتمعُوا بأسْرِهمْ فى سقيفةِ بنِى ساعدةَ ، وخالفَ عنَّا علِىٌّ والزُّبيْرُ ومنْ

معهما . واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار . فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان . فذكرا ما تمالى عليه القوم فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . فقالا : لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم . فقلت والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت من هذا ؟ فقالوا : هذا سعد بن عبادة . فقلت : ما له ؟ قالوا : يوعك . فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط ، وقد دفت دافة من قومكم ، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر . فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك . فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم منى وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت فقال ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم . فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ، فلم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك من إثم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تسول إلى نفسى عند الموت شيئا لا أجده الآن . فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، منا أمير ، ومنكم أمير ، يا معشر قريش . فكثر اللغط ،

وَارْتَفعت الأصْواتُ حتَّى فَرِقْتُ مِنَ الاخْتِلاَفِ . فَقُلْتُ ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ . فبسط يده فبايعتُهُ ، وبَايعهُ المُهاجرُونَ ، ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأنْصَارُ ، ونَزَوْنَا عَلَى سعد بن عبادة فقال قائلٌ منهُمْ قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبادَةَ . فَقُلْتُ قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ ابْنَ عُبادَةَ . قَالَ عُمَرُ : وإنَّا واللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايعةِ أَبِى بَكْرٍ خَشِينَا إنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ ولَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايعُوا رَجُلا مِنْهُمْ بَعْدَنَا ، فَإمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى ، وَإمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيكُونُ فَسَادٌ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِى بَايَعَهُ تَغِرَّةَ أَنْ يُقْتَلاَ .

وكان لعمر موقف غير سليم مع فرس تصدق به ، تصوره هذه الأحاديث :

١٤٨٩ - عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ تَصدَّقَ بِفَرَسٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَوَجَدَهُ يُبَاعُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَهُ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَاسْتَأْمَرَهُ فَقَالَ : « لاَ تَعُدْ فِى صَدَقَتِكَ » فَبِذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ - رضى الله عنهما - لاَ يَتْرُكُ أَنْ يَبْتَاعَ شَيْئًا تَصَدَّقَ بِهِ إلاَّ جَعَلَهُ صَدَقَةً .

قالوا : إن "لا" زائدة ، والمعنى : كان يترك شراء شيء تصدق به ، اللهم إلا أن يشتريه ليتصدق به . والظاهر أن نهى عمر ، وترفع ابنه كان من قبيل الورع ، لما قد يكون فى ذلك من شبهة إحراج أو تحايل أو رفع لدرجة عمر ، من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وإلا فإن الصدقة إذا تحولت خرجت عن كونها صدقة .

٢٧٧٥ - وبلفظ : أَنَّ عُمَرَ حَمَلَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَعْطَاهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَحْمِلَ عَلَيْهَا رَجُلا ، فَأُخْبِرَ عُمَرُ أَنَّهُ قَدْ وَقَفَهَا يَبِيعُهَا ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْتَاعَهَا فَقَالَ : « لاَ تَبْتَعْهَا ، وَلاَ تَرْجِعَنَّ فِى صَدَقَتِكَ » .

٢٩٧١ – وبلفظ : ... فَوَجَدَهُ يُبَاعُ ، فَـأَرَادَ أَنْ يَبْتَاعَـهُ ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « لاَ تَبْتَعْهُ ، وَلاَ تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ » .

١٤٩٠ – وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سمعْتُ عمر ﷺ يقُولُ : حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْـدَهُ ، فَـأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَبِيعُهُ بِرُخْصٍ ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : « لاَ تَـشْتَرِ وَلاَ تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ ، وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِـدِ فِي قَيْئِهِ » .

٢٦٢٣ – وبلفظ ما سبق ، غير أن فيه : « ... فَـإِنَّ الْعَائِـدَ فِـي صَدَقَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ » .

٢٩٧٠ – وبلفظ ما سبق ، غير أن فيه : فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ آشْتَرِيهِ ؟ فَقَالَ : « لاَ تَشْتَرِهِ ، وَلاَ تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ » .

٣٠٠٣ – وبلفظ ما سبق ، غير أن فيه : « لاَ تَشْتَرِهِ وَإِنْ بِـدِرْهَمٍ ، فَإِنَّ الْعَائِدَ ... » .

عمر يستشير كبار الصحابة فى الأمور الهامة

ظهر ذلك جليا عند زيارته للشام فقيل له : ارجع . لا تـدخل علـى وباء الطاعون . ففى الحديث :

٥٧٢٩ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – أَنَّ عُمَـرَ ابْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الـشَّأْمِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقَالَ عُمَرُ : ادْعُ لِـي الْمُهَـاجِرِينَ الأَوَّلِـينَ . فَـدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُوا . فَقَالَ بَعْـضُهُمْ : قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ ، وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعَـكَ بَقِيَّـةُ

النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلا نرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ على هـذا الوبـاء . فقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّى . ثُمَّ قَالَ : ادْعُوا لِى الأَنْصار . فدعوتُهُمْ فاستشارهُمْ، فسلكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ ، واختلفوا كاختلافهِمْ ، فقال : ارتفعوا عنِّى . ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِى مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِـنْ مُهَـاجِرَةِ الفـتح . فَدَعَوْتُهُمْ ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُـلانِ ، فَقَـالُوا : نـرى أَنْ تَرْجِـع بِالنَّاسِ ، وَلا تُقْدِمهُمْ على هَذَا الْوباء ، فنادى عُمرُ فـى النَّـاس ، إِنِّـى مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ . قال أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ : أَفِـرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، نَعَـمْ نَفِـرُّ مِـنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُـدْوَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْـتَ الْخَـصِبَةَ رَعَيْتَهَـا بِقَدَرِ اللَّهِ ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَالَ : فَجَاءَ عَبْدُ الـرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِى فِى هَذَا عِلْمًـا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْـهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ » . قَالَ : فَحَمِـدَ اللَّـهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ .

بل كان يستشير أهل الخبرة فى خبرتهم ، فقد كان يستشير الهرمزان فى المغازى ، كما يحكيه الحديث :

٣١٥٩ - عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ قَالَ : بَعَثَ عُمَرُ النَّـاسَ فِـى أَفْنَـاءِ الأَمْصَارِ - أى فى مجموع البلاد الكبار مـن بـلاد الكفـار - يُقَـاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَسْلَمَ الْهُرْمُزَانُ - فقاتل المسلمون الكفار فى معارك كثيرة ، نزل بعدها الهرمزان ، وكان من زعماء الفرس علـى حكـم عمـر رضي الله عنه ، فأسره أبو موسى الأشعرى ، وأرسل به إلى عمر مع أنس فأسلم ، فـصار عمر يقربه ويستشيره ، ثم بعد مقتل عمر اتهمه ابنه عبيد الله بن عمر بأنه

واطأ أبا لؤلؤة على قتل عمر فعمد على الهرمزان فقتله - **فقال** – له عمر – **إنّى مُستَشيرُك فى مغازىّ هذه** – فى رواية أن عمر شاور الهرمزان فى فارس وأصبهان وأذربيجان . بأيهما يبدأ ؟ والهرمزان كان من أهل هذه البلاد . وأعلم بها من غيره – **قَالَ : نعمْ ، مثلُها ومثلُ منْ فيها منَ النَّاسِ منْ عدُوِّ المُسْلمينَ مَثَلُ طائرٍ لَهُ رأسٌ ولَهُ جناحانِ ولَهُ رجْلانِ ، فإنْ كُسِرَ أحدُ الجناحيْنِ نهضت الرِّجْلانِ بجناحٍ والرَّأسُ ، فإنْ كُسِرَ الْجَنَاحُ الآخَرُ نَهضَت الرِّجْلانِ والرَّأسُ ، وإنْ شُدِخَ الرَّأسُ ذهبَت الرِّجْلانِ والْجَناحانِ والرَّأسُ ، فالرَّأسُ كسرى ، والْجَنَاحُ قيْصرُ ، والْجَناحُ الآخَرُ فارسُ** – فالمقصود من التشبيه أن كسرى رأس ، وما عداه من بلاد فارس وأصبهان وأذربيجان أجنحة وأرجل – **فَمُرِ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَنْفِرُوا إِلَى كِسْرَى** . قَالَ جُبَيْرُ بْنُ حَيَّةَ : فَنَدَبَنَا عُمَرُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ الْعَدُوِّ ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلُ كِسْرَى فِى أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَقَامَ تُرْجُمَانٌ فَقَالَ لِيُكَلِّمْنِى رَجُلٌ مِنْكُمْ . فَقَالَ الْمُغِيرَةُ : سَلْ عَمَّا شِئْتَ . قَالَ : مَا أَنْتُمْ ؟ قَالَ : نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ كُنَّا فِى شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ ، نَمَصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ ، وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعَرَ ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا ، نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِى نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ ، وَمَنْ بَقِىَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ .

٧٥٣٠ – وبلفظ : **أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا : « أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ »** .

وكان يجتهد فى النوازل ، فلا يعارض ، فعندما سأله العراقيون عن

ميقات إحرامهم حيث لم يرد لهم ميقات فى أحاديث المواقيت ؛ لأن العراق لم تكن قد وجدت بعد ، حدد لهم عمر ميقاتًا .

١٥٣١ - **فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : لمَّا فُتِحَ هذان المصران** - البصرة والكوفة ، وهما سرتا العراق ، والمراد بفتحهما غلبة المسلمين على أرضهما ومكانهما ، والمسلمون هم الذين أنشأوهما - **أتَوْا عُمَرَ . فقالوا : يا أميرَ المُؤمنينَ ، إنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ حَدَّ لأهْلِ نَجْدٍ قَرْنًا ، وَهُوَ جَوْرٌ عَنْ طَرِيقنَا** - أى مائل عن طريقنا - **وَإنَّا إنْ أرَدْنَا قَرْنًا شَقَّ عَلَيْنَا . قَالَ : فَانْظُرُوا حَذْوَهَا** - وما يقابلها - **مِنْ طَرِيقكُمْ . فَحَدَّ لَهُمْ ذَاتَ عِرْقٍ .**

وعندما وجد المسلمين فى المسجد متفرقين فى صلاة التراويح جمعهم على إمام واحد .

٢٠١٠ - فعَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ لَيْلَةً فِى رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ - جماعات متفرقون - مُتَفَرِّقُونَ - تأكيد للفظ أوزاع - يُصَلِّى الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ - منفردًا - وَيُصَلِّى الرَّجُلُ فَيُصَلِّى بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ - الجماعة من ثلاثة إلى عشرة - فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّى أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ . ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ ، قَالَ عُمَرُ : نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالَّتِى يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِى يَقُومُونَ . يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ .

وكان يعرف لأصحاب الفضل فضلهم ، ويكافئهم على إحسانهم ، ففى الحديث :

٢٨٨١ - عن ثَعْلَبَةَ بْن أَبِى مَالِكٍ أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَسَمَ

مَرْوطًا بَيْنَ نساءٍ منْ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ ، فَبَقِيَ مرْطٌ جيِّدٌ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي عِنْدَكَ . يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ . فَقَالَ عُمَرُ : أُمُّ سليطٍ أَحَقُّ . وَأُمُّ سليطٍ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ ، مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . قَالَ عُمَرُ : فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا الْقِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ تَزْفِرُ تَخِيطُ . قيل : لا يعرف هذا فى اللغة ، وإنما "تزفر" معناها تحمل .

وكان لعمر موقف صعب وشديد مع علي والعباس ﵄ يعبر عنه هذا الحديث :

٣٠٩٤ – عن مالكٍ ﵁ قال : بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِى أَهْلِى حِينَ مَتَعَ النَّهَارُ – وانتصف – إِذَا رَسُولُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَأْتِينِى فَقَالَ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى عُمَرَ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رِمَالِ سَرِيرٍ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ فَقَالَ : يَا مَالِ ، إِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قَوْمِكَ أَهْلُ أَبْيَاتٍ ، وَقَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرَضْخٍ فَاقْبِضْهُ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَمَرْتَ بِهِ غَيْرِى . قَالَ : اقْبِضْهُ أَيُّهَا الْمَرْءُ . فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ أَتَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَا فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِى عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ يَسْتَأْذِنُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا ، ثُمَّ جَلَسَ يَرْفَا يَسِيرًا ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ فِى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ . فَأَذِنَ لَهُمَا ، فَدَخَلَا فَسَلَّمَا فَجَلَسَا ، فَقَالَ عَبَّاسٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اقْضِ بَيْنِى وَبَيْنَ هَذَا . وَهُمَا يَخْتَصِمَانِ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ بَنِى النَّضِيرِ . فَقَالَ الرَّهْطُ : عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اقْضِ بَيْنَهُمَا وَأَرِحْ أَحَدَهُمَا مِنَ الآخَرِ . قَالَ عُمَرُ : تَيْدَكُمْ ، أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِى بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا

نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ » . يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نفسه . قَالَ الرَّهْطُ : قَدْ قَالَ ذَلِكَ . فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ فَقَالَ : أَنْشُدُكُمَا اللَّهَ ، أَتَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ ذَلِكَ ؟ قَالا : قَدْ قَالَ ذَلِكَ . قَالَ عُمَرُ : فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الأَمْرِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الْفَيْءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ - ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ (١) - فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَاللَّهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ ، وَلاَ اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ قَدْ أَعْطَاكُمُوهُ ، وَبَثَّهَا فِيكُمْ حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللَّهِ ، فَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتَهُ أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . ثُمَّ قَالَ : لِعَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ ؟ قَالَ عُمَرُ : ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَعَمِلَ فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُ فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، فَكُنْتُ أَنَا وَلِيَّ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَبَضْتُهَا سَنَتَيْنِ مِنْ إِمَارَتِي ، أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ ، ثُمَّ جِئْتُمَانِي تُكَلِّمَانِي وَكَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ ، وَأَمْرُكُمَا وَاحِدٌ ، جِئْتَنِي يَا عَبَّاسُ تَسْأَلُنِي نَصِيبَكَ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ ، وَجَاءَنِي هَذَا - يُرِيدُ عَلِيًّا - يُرِيدُ نَصِيبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا ، فَقُلْتُ لَكُمَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ » . فَلَمَّا بَدَا لِي أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا قُلْتُ : إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا عَلَى أَنَّ عَلَيْكُمَا عَهْدَ

---

(١) سورة الحشر ، ٦ .

اللّه وميثاقهُ لتَعمَلانِ فيهَا بمَا عَمِلَ فيهَا رسُولُ اللّهِ ﷺ ، وبمَا عمِلَ فيهَا أبو بكرٍ ، وبمَا عَملتُ فيهَا مُنذُ وليتهَا ، فقُلتُمَا : ادفَعهَا إليْنَا . فبذلك دفعتُهَا إليكُمَا ، فأنشُدُكمْ باللّه ، هلْ دفعتُهَا إليكما بذلك ؟ قَالَ الرّهطُ : نعمْ. ثُمَّ أقبَلَ عَلَى علِيٍّ وَعبَّاسٍ فقَالَ : أنشُدُكما باللّه هلْ دفعتُهَا إليكما بذلك ؟ قَالا : نعَمْ . قَالَ فتَلتَمسَانِ منِّى قَضاءً غيْرَ ذلكَ فوَاللّه الّذى بإذنِهِ تقومُ السَّمَاءُ وَالأرْضُ ، لاَ أقضِى فيهَا قَضاءً غيْرَ ذلكَ ، فإنْ عَجزْتُما عنهَا فَادفَعَاهَا إلَىَّ ، فإنّى أكفِيكُمَاهَا .

وكانت غيرة عمر رضي الله عنه مشهورة حتى رآها رسول الله ﷺ فى المنام ، وحسب لها حسابها .

٧٠٢٣- فعن أبى هُرَيْرَةَ قَالَ : بيْنَا نحْنُ جُلُوسٌ عنْدَ رَسُولِ اللّه ﷺ قَالَ : « بيْنَا أنَا نَائمٌ رَأيْتُنِى فِى الْجَنَّةِ ، فَإذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إلَى جَانبِ قَصْرٍ، قُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا » . قَالَ أبُو هُرَيْرَةَ فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ قَالَ : أعَلَيْكَ بِأبِى أنْتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ أغَارُ ؟

٧٠٢٤ - وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإذَا أنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ . فَمَا مَنَعَنِى أنْ أدْخُلَهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إلاَّ مَا أعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ » قَالَ : وَعَلَيْكَ أغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

وكان رسول الله ﷺ واثقًا من إيمان عمر ، وأنه يحبه أكثر من نفسه ، ففى الحديث :

٦٦٣٢ - عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أحَبُّ إلَىَّ مِنْ كُلِّ

شئ إلاَّ منْ نفسِى . فقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « لا والَّذِى نفسِى بِيدِهِ حتَى أكـون أحبَّ إليْكَ منْ نفْسِك » . فقَالَ لهُ عُمرُ : فإنَّهُ الآنَ واللهِ لأنْتَ أحـبُّ إلـىَّ منْ نفسِى . فقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « الآنَ يا عُمرُ » .

ورأى رسول الله ﷺ فى المنام ما يدل على علم عمر :

٣٦٨١ - فعن حمزة عنْ أبيه أنْ رسُول اللّه ﷺ قَال : « بيْنَا أنـا نائمٌ شربْتُ - يعْنِى اللَّبن - حتَّى أنْظرُ إلى الرِّىِّ يجْرِى فِى ظُفُرِى أوْ فِى أظْفارِى ، ثُمَّ نَاولْتُ عُمرَ » . فقالُوا : فمَا أوَّلْتَهُ ؟ قَال : « الْعِلْمَ » .

فكان عمر رضي الله عنه قويًا فى العلم بشريعة الإسلام ، عـاملا بهـا ، ففـى الحديث رقم :

٣٦٩١ - عَنْ أبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ : « بَيْنَا أنَا نَائِمٌ رَأيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَىَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِىَّ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَىَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِـيصٌ اجْتَرَّهُ » . قَالُوا : فَمَا أوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الدِّينَ » .

وقد شهد له بكل ذلك على بن أبى طالب رضي الله عنه ، ففى الحديث رقم :

٣٦٧٧ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - قَالَ : إنِّى لَوَاقِـفٌ فِى قَوْمٍ ، فَدَعَوُا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، إذَا رَجُـلٌ مِنْ خَلْفِى قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِى، يَقُولُ : رَحِمَكَ اللَّهُ، إنْ كُنْتُ لأَرْجُو أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لأنِّى كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُ أسْمَعُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ : كُنْتُ وَأبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَفَعَلْتُ وَأَبُـو بَكْـرٍ وَعُمَـرُ ، وَانْطَلَقْـتُ وَأبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . فَإنْ كُنْتُ لأَرْجُو أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا . فَالْتَفَتُّ فَإذَا هُوَ عَلِىُّ بْنُ أبِى طَالِبٍ .

كما شهد له بكل ذلك ابن عباس رضي الله عنه ، ففى الحديث رقم :

٣٦٩٢ - عن المسور بن مخرمة قال : لما طعن عمرُ جعل يألمُ ، فقال له ابن عباس - وكأنه يجزّعه - يا أمير المؤمنين ، ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض ، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون . قال : أما ما ذكرت من صحبة رسول ﷺ ورضاه ، فإنما ذاك منٌ من الله تعالى منّ به عليّ ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه ، فإنما ذاك منٌ من الله جلّ ذكره منّ به عليّ ، وأما ما ترى من جزعي ، فهو من أجلك وأجل أصحابك ، والله لو أنّ لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عزّ وجلّ قبل أن أراه .

مقتل عمر ﷺ وقصة البيعة لعثمان ﷺ

٣٧٠٠ - عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، قَالَ : كَيْفَ فَعَلْتُمَا أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ قَالاَ : حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ . قَالَ انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ ، قَالَ: قَالاَ لاَ . فَقَالَ عُمَرُ : لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لاَ يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا . قَالَ : فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ . قَالَ : إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قَالَ اسْتَوُوا . حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلاً تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ ، أَوِ النَّحْلَ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ ، فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الْكَلْبُ . حِينَ طَعَنَهُ ، فَطَارَ

الْعِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ لاَ يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلاَ شِمَالاً إِلاَّ طَعَنَهُ حَتَّى طَعَنَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا . فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى ، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ وَهُمْ يَقُولُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ . فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاَةً خَفِيفَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا . قَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي . فَجَالَ سَاعَةً ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : غُلاَمُ الْمُغِيرَةِ . قَالَ : الصَّنَعُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مَنِيَّتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ { الْعَبَّاسُ } أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا . فَقَالَ : إِنْ شِئْتَ فَعَلْتَ . أَيْ إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا . قَالَ : كَذَبْتَ ، بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ وَحَجُّوا حَجَّكُمْ فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ فَقَائِلٌ يَقُولُ : لاَ بَأْسَ . وَقَائِلٌ يَقُولُ أَخَافُ عَلَيْهِ ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَجَاءَ النَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ ، فَقَالَ : أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدَمٍ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ ، ثُمَّ شَهَادَةٌ . قَالَ : وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي . فَلَمَّا أَدْبَرَ ، إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ . قَالَ : رُدُّوا عَلَيَّ الْغُلاَمَ قَالَ ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ وَأَتْقَى لِرَبِّكَ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ . فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ ، قَالَ : إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ ، فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَإِلاَّ فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ ، فَإِنْ لَمْ تَفِ

أموالهم فسل فى قريش ، ولا تعدهم إلى غيرهم ، فأدّ عنى هذا المـــال ، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام . ولا تقل أمير المؤمنين . فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا ، وقل يـستأذن عمــر بـن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه . فسلم واستأذن ، ثم دخل عليها ، فوجدها قاعدة تبكى فقال : يقرأ عليك عمرُ بنُ الخطاب السلامَ ، ويستأذنُ أن يُدفن مع صاحبيْه . فقالت : كنتُ أُريدُهُ لنفسى ، ولأوثرنّه به اليوم على نفسى. فلمّا أقبل قيل هذا عبدُ اللّه بنُ عمرَ قدْ جاءَ . قالَ : ارفعـونى ، فأسـندهُ رجلٌ إليْه ، فقالَ : ما لديْكَ ؟ قالَ : الّذى تُحبُّ يا أميرَ المُؤمنين أذنـتْ . قالَ : الحمْدُ للّه ، ما كانَ منْ شىْءٍ أهمُّ إلىَّ منْ ذلك ، فإذا أنـا قـضيتُ فاحملونى ثمَّ سلِّمْ فقلْ يستأذنُ عمرُ بنُ الخطّاب ، فإنْ أذنتْ لى فأدْخلونى، وإنْ ردّتْنى فردُّونى إلى مقابرِ المُسلمينَ . وجاءتْ أمُّ المُـؤمنينَ حفْـصةُ والنِّساءُ تسيرُ معها ، فلمّا رأيْناها قُمْنا ، فولجتْ عليْه فبكتْ عندهُ ساعةً، واستأذنَ الرِّجالُ ، فولجتْ داخلا لهُمْ ، فسمعْنا بُكاءها منَ الدّاخلِ . فقالُوا: أوْصِ يا أميرَ المُؤمنينَ استخْلفْ . قالَ : ما أجدُ أحقَّ بهـذا الأمْـرِ مـنْ هؤُلاءِ النّفرِ أو الرّهْط الّذينَ تُوفِّى رسولُ اللّـه ﷺ وهْـو عـنْهمْ راضٍ . فسمّى عليًّا وعُثْمانَ والزُّبيْرَ وطلْحةَ وسعْدًا وعبْدَ الرّحْمنِ وقالَ : يشْهدُكمْ عبْدُ اللّه بنُ عمرَ وليْس لهُ منَ الأمْرِ شىْءٌ – كهيْئةِ التّعْزيةِ لـهُ – فـإنْ أصابت الإمْرةُ سعْدًا فهْوَ ذاكَ ، وإلاّ فليسْتعنْ به أيُّكمْ ما أُمِّرَ ، فـإنِّى لـمْ أعْزلْهُ عنْ عجْزٍ ولا خيانةٍ وقالَ : أُوصى الخليفةَ منْ بعْدى بالمُهـاجرينَ الأوّلينَ أنْ يعْرفَ لهُمْ حقّهُمْ ، ويحْفظَ لهُمْ حُرْمتهُمْ ، وأُوصيه بالأنْـصارِ خيْرًا ، الّذينَ تبوّءُوا الدّارَ والإيمانَ منْ قبْلهمْ ، أنْ يُقبلَ منْ مُحْـسنهمْ ، وأنْ يُعْفى عنْ مُسيئهمْ وأُوصيه بأهْلِ الأمْصارِ خيْرًا فإنّهمْ ردْءُ الإسْلامِ ، وجُباةُ المالِ ، وغيْظُ العدُوِّ ، وأنْ لا يُؤْخذ منْهُمْ إلاّ فضْلُهُمْ عنْ رضاهُمْ ،

وَأُوصيه بالأعْرَاب خيْرًا ، فإنهُمْ أصْلُ الْعَرَب وَمَادَةُ الإسْلام أنْ يُؤْخذ مِنْ حَوَاشى أمْوَالهمْ وَتُرَدّ عَلى فُقَرَائهمْ ، وَأوصيه بذمّة الله وذمّة رسوله صلى الله عليه وسلم أنْ يُوفى لهُمْ بعهْدهمْ ، وأنْ يقاتل من ورائهم ، ولا يُكلّفوا إلاّ طَاقتَهُمْ . فلمّا قُبضَ خرجْنا به فانطلقنا نمشى فسلّم عبْدُ الله بنُ عُمرَ قَالَ : يسْتَأذنُ عُمرُ بنُ الخطّاب . قَالتْ : أدخلوه . فأدخل . فوضع هُنالكَ مع صاحبيْه ، فلمّا فُرغ منْ دفْنه اجتمع هؤلاء الرهْط ، فقال عَبْدُ الرّحْمَن : اجْعلُوا أمْركُمْ إلى ثلاثة منكمْ . فقال الزُّبيْرُ : قدْ جعلْتُ أمْرى إلى علىٍّ . فقَالَ طلْحَةُ : قَدْ جَعلْتُ أمْرى إلى عُثْمَان . وقَال سعْدٌ : قَدْ جَعلْتُ أمْرى إلَى عَبْد الرّحْمَن بْن عَوْف . فقَال عبْدُ الرّحْمَن : أيُّكُما تَبرّأ منْ هَذا الأمْر فَنَجْعَلُهُ إلَيْه ، وَاللّهُ عَلَيْه وَالإسْلامُ لَيَنْظُرَنّ أفْضَلَهُمْ فى نَفْسه . فَأُسْكتَ الشَّيْخَان ، فَقَالَ عَبْدُ الرّحْمَن : أفَتَجْعَلُونَهُ إلَىّ ، وَاللّهُ عَلَىّ أنْ لا آلُو عَنْ أفْضَلكُمْ ؟ قَالا : نَعَمْ ، فَأَخَذَ بيَد أحَدهمَا فَقَالَ لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُول اللّه ﷺ وَالْقَدَمُ فى الإسْلام مَا قَدْ عَلمْتَ ، فَاللّهُ عَلَيْكَ لَئنْ أمَّرْتُكَ لَتَعْدلَنّ ، وَلَئنْ أمّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنّ وَلَتُطيعَنّ . ثُمّ خَلا بالآخَر فَقَالَ لَهُ مثْلَ ذَلكَ ، فَلَمّا أَخَذَ الْميثَاقَ قَالَ ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ . فَبَايَعَهُ ، فَبَايَعَ لَهُ عَلىٌّ ، وَوَلَجَ أهْلُ الدّار فَبَايَعُوهُ .

٧٢٠٧ – وعن الْمسْوَر بْن مَخْرَمَةَ أنّ الرّهْطَ الّذينَ وَلاّهُمْ عُمَرُ اجْتَمَعُوا فَتَشَاوَرُوا ، قَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرّحْمَن : لَسْتُ بالّذى أُنَافسُكُمْ عَلَى هَذَا الأمْر ، وَلَكنّكُمْ إنْ شئْتُمُ اخْتَرْتُ لَكُمْ منْكُمْ . فَجَعَلُوا ذَلكَ إلَى عَبْد الرّحْمَن ، فَلَمّا وَلّوْا عَبْدَ الرّحْمَن أمْرَهُمْ فَمَالَ النّاسُ عَلَى عَبْد الرّحْمَن ، حَتّى مَا أرَى أحَدًا منَ النّاس يَتْبَعُ أُولَئكَ الرّهْطَ وَلا يَطَأُ عَقبَهُ ، وَمَالَ النّاسُ عَلَى عَبْد الرّحْمَن يُشَاوِرُونَهُ تلْكَ اللّيَالى حَتّى إذَا كَانَت اللّيْلَةُ الّتى أصْبَحْنَا منْهَا فَبَايَعْنَا عُثْمَانَ . قَالَ الْمسْوَرُ : طَرَقَنى عَبْدُ الرّحْمَن بَعْدَ هَجْعٍ مِنَ اللّيْل

فَضَرَبَ الْبَابَ حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ فَقَالَ : أَرَاكَ نَائِمًا ، فَوَاللَّهِ مَا اكْتَحَلْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِكَبِيرِ نَوْمٍ ، انْطَلِقْ فَادْعُ الزُّبَيْرَ وَسَعْدًا ، فَدَعَوْتُهُمَا لَهُ فَشَاوَرَهُمَا ثُمَّ دَعَانِي فَقَالَ : ادْعُ لِي عَلِيًّا . فَدَعَوْتُهُ فَنَاجَاهُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ مِنْ عِنْدِهِ ، وَهْوَ عَلَى طَمَعٍ ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَخْشَى مِنْ عَلِيٍّ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِي عُثْمَانَ ، فَدَعَوْتُهُ فَنَاجَاهُ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمُؤَذِّنُ بِالصُّبْحِ ، فَلَمَّا صَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ وَاجْتَمَعَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ وَكَانُوا وَافَوْا تِلْكَ الْحَجَّةَ مَعَ عُمَرَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ يَا عَلِيُّ ، إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ ، فَلاَ تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلا . فَقَالَ : أُبَايِعُكَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ . فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ وَأُمَرَاءُ الأَجْنَادِ وَالْمُسْلِمُونَ .

وصف القبر الشريف

وكان قبر النبى ﷺ مسنما أى مرتفعًا عن الأرض ، محدودبًا من الوسط على هيئة الرقم الحسابى "٨" . واستدل بهذا على استحباب تسنيم القبر ، وهو قول أبى حنيفة ومالك وأحمد وكثير من الشافعية ، وقليل منهم استحبوا التسطيح ، والخلاف فى الأفضل على جواز كل من التسطيح والتسنيم ، والظاهر أن قبر رسول الله ﷺ كان فى المقدمة ، وبجواره قبر أبى بكر ﷺ ؛ رأسه عند كتفى النبى ﷺ ، وقبر عمر ﷺ عند رجلى النبى ﷺ .

ثم لما بنى جدار القبر فى إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروا القبور الثلاثة مرتفعة .

وهذا أثر :

١٣٩٠ م – **عَنْ عُرْوَةَ بن الزبير قال : لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْحَـائِطُ** – حائط حجرة عائشة التى كانت فيها القبور الثلاثة – **فِى زَمَانِ الْوَلِيـدِ بْـنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخَذُوا فِى بِنَائِـهِ** – كتب إليه عمر بن العزيز ، وكان قد اشترى بيوت أزواج النبى ﷺ ، وكانت تحيط بالمسجد ، فأمره الوليد بن عبد الملك أن يهدمها ويوسع بها المسجد ، فهدمها ، ولما وصل الهدم إلى حجرة القبور ليقيموا حائطًا بين القبور وبين المسجد انهار الركل من حولها – **فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ فَفَزِعُوا** – فى رواية : قدم بساق وركبة ، ففزع عمر بن عبد العزيز وفزع الناس – **وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِىِّ ﷺ** – أخذوا يسألون عمن يميز قدم النبى ﷺ عن قدم صاحبيه ؟ **فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ : لاَ وَاللَّهِ مَا هِىَ قَدَمُ النَّبِىِّ ﷺ مَا هِـىَ إِلاَّ قَـدَمُ عُمَـرَ** ﷺ – فسكنوا وأكملوا البناء .

فهرس الجزء الثالث عشر